روايات عبير

٤٣٣

إمرأة للجميع ...

www.elromancia.com

مرمورية

روايات عبير

No: 433

اكتشافك يهدد بكارثة بالنسبة لي

قالت "سابرينا" :

- إن اكتشافك سيخفض ثمن تمثالي ٠ وقبل كل شيء فإن الناس لن تشتري تمثالا يحتوي على مخلوق متحجر داخل الحجر الذي صنعت منه التمثال ٠٠ طلق "فورستر" ضحكة مرحة وقال :

- كم تريدين ثمنا له ؟

صعدت الدماء إلى خدي "سابرينا" وسألته :

- اتريد شراءه ؟ لماذا ؟ كي تحطمه وتظهر الحيوان التافه ؟

- إنه ليس من الزواحف ٠ ٠ إنه حيوان برمائي ٠

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

تقديم

تدور أحداث هذه الرواية بين عالم حفريات الكائنات القديمة المتحجرة وفنانة في النحت حيث نفذت النحاتة تمثالا يعد تحفة فنية رائعة بعد أن امضت شهورا طويلة في إبداعه.وتقيم في منزلها معرضا لهواة الفن تعرض عليهم اعمالها ومن بينها التمثال الذي اسمته "امراة الماضي" وذلك كدعاية له حيث اختير ليعرض للبيع في مزاد فني مهم لا يعرض سوى الاعمال المهمة . تفاجا الفنانة في مرسمها هي والمدعوون بشخص غريب الأطوار وقد ركع بجوار التمثال يتامله ويفحصه بدقة شديدة وهيام بالغ . تثير تصرفات الرجل فضول الجميع حيث يحيطون به وعندما تحضر الفنانة وتساله عما يفعل يخبرها انه عالم في الحفريات المتحجرة من العصور القديمة وانه يشك في وجود كائن متحجر داخل الحجر الذي صنعت منه التمثال .

يجري نقاش حاد بينهما وتطلب منه الرحيل بعد أن اتهمته بالجنون وانه يوشك أن يحطم عملا قضت فيه شهورا لتصنعه وانه سيفتح الباب امامها لمستقبل باهر في عالم الفن . ولكن العالم الشاب كان يتمتع بقوة إقناع رهيبة وإلحاح شديد فضلا عن جاذبيته الشديدة كرجل . وتنشا علاقة بين العالم والفنانة هي مزيج من التناقض ما بين الحب الشديد والمعارك الضارية عندما يدافع كل منهما عن عمله .

الرواية مليئة بالمواقف والمغامرات المقرونة بالمشاهد الضاحكة . أما النهاية فهي غير متوقعة .

www.elromancia.com

شخصيات الرواية

- "سابرينا ميلندي" : فنانة في فن النحت والرسم وتصميم فترينات العرض في المحلات الشهيرة .

- "كولن فورستر" : عالم شاب متخصص في الحفريات عن الكائنات المتحجرة من العصور القديمة .

"ارثر ويلنجتون" : نائب رئيس محلات "لويدز" الشهيرة في نيويورك.

- "اليجراروسو" : صديقة "سابرينا" ورئيسة جمعية "لوكولوس" لمحبي الفن

"فيرونيكاكوين" : نائبة رئيسة جمعية "لوكولوس"

الفصل الأول

مرت ربع ساعة كاملة والرجل المجهول منحن أمام التمثال . أخيرا فتح فمه وهو لا يزال لاصقا أنفه بالجسد الحجري . همهم وهو في نشوة :

- لا يقدر بثمن .. لا يقدر بثمن على الإطلاق .

قطبت "سابرينا" جبينها . لقد أعجب كل مدعويها وهم يدخلون قاعة "امرأة الماضي" بالتمثال بالحجم الطبيعي الذي كان يتوج كل ما في القاعة الفنية . لقد انهمك الجميع في نقاش وتعليقات حماسية حول الثمن الذي ستحصل عليه عندما يعرض في المزاد في اليوم التالي . والحق أن أحدا لم يرغب في فحص خلفية التمثال بهذه الدقة الشديدة. ومع ذلك لم يبد أن الرجل فاقد لاتزانه . والحق يقال إن الذكاء كان يشع في عينيه الزرقاوين المحاطتين بإطار نظارته الطبية المصنوع من المعدن. أما بالنسبة لوجهه فقد كان يمتلك وجها مميزا بتقاطيعه غير

www.elromancia.com

المنتظمة بعض الشيء وانفه المعقوف وشعره الداكن الموج .

كان الأمر واضحا فإن هذا الغريب يتصرف بطريقة غريبة . لم يعر اي انتباه للجماهير المحيطة به ومرر ذلك الشخص المثير للقلق اصابعه فوق صدر تمثال "امراة الماضي" وهو يهمهم :

- إنه أجمل من أن يكون حقيقيا!

تقدمت مبدعة التمثال منه وسالته :

- هل يمكنني أن أساعدك ؟

رد عليها دون أن يرفع رأسه :

- نعم ... هل يمكن أن تتكرمي وتحضري لي مقياسا؟

- ماذا ؟

- مقياس أطوال وكذلك نوتة أوراق رسم .

بعد دقيقتين عادت "سابرينا" بالمطلوب . وضع الرجل المقياس فوق الجسد وهو يهمهم :

- مضبوط تماما . إنه أمر لا يصدق !

- هل يمكنني أن أسالك ماذا تفعل ؟

أخذ المجهول يشرح وعيناه لا تزالان على التمثال .

- أقوم بالفحص ... هذا بالضبط ما أفعله .

- أوه .... ! هل أنت فنان؟

لم يجب لانشغاله التام بأخذ المقاسات ولكن المقياس كان صلبا ولا يستطيع أن يثبته على الانحناءات والاستدارات لجسد التمثال خاصة وأن جسد المراة مليء بالمنحنيات التشريحية . انتهى به الأمر بان القى بالمقياس يائسا على الأرض وقال بصوت حاسم :

- إنني أحتاج إلى مازورة خياط .. الايوجد عندك واحدة ؟ .

بعد ذلك رفع رأسه لأول مرة ليركز انظاره على محدثته . من شدة

ذهوله لم يكمل جملته . رأى أمامه شعرا أسود حريريا حول وجه ناعم جدا ليجتمع في شكل ذيل حصان . كانت عيناها مسحوبتين خضراوين على شكل اللوزة .. كانت مخلوقة خرافية تقف امامه وكانه يحلم . كانت ترتدي ثوبا ساحرا بلون ارجواني فاتح يظهر تقاسيم جسدها المتناسقة . تحدثت الشابة بصوت انثوي لا يحمل اي دلالة على السلطة :

- ماذا تريد أن تقيس ؟

عاد الرجل إلى ما كان يشغله من قبل ومرر نظراته على التمثال وقال:

- أترين الخمسة خطوط البارزة فوق الحجر ؟

- آه .. هذه ! لقد أردت أن أكشطها بصنفرة ولكن لم يكن عندي وقت.

- لترحمنا السماء !

- ماذا .. ارجو المعذرة ؟

لم يجب وقد انهمك ثانية في فحص الحجر ثم قال :

- أريد مازورة مقاسات خاصة بالخياطين .. هل يمكن لك أن تحضري واحدة ؟

حاولت الشابة أن تتغلب على غيظها وقالت :

- اسمع ! لست خياطة .. انا فنانة .

- وأنا عالم في الكائنات المتحجرة القديمة وأصدقك القول إنني متحير مما أراه الآن . أتدرين أن الإنسان يكتشف أشياء في أماكن غير متوقعة .

ضحك ضحكة خفيفة بعد أن انهى جملته مما رفع من درجة عصبية المضيفة :

- إنني لا أرى حقا ما يعتبر أمرا غريبا أو شاذا إن عملي ليس

www.elromancia.com

موضع سخرية .

- أرجو المعذرة . ولكني تجولت في كل العالم في بعثات بعيدة. وماذا وجدت هنا ؟ إن الأمر فعلا لا يصدق !

أخذت أصابعه تتابع خطا وهميا فوق جسد التمثال لتتوقف فجأة فوق خط بارز سادس غير ظاهر بدرجة الخمسة خطوط السابقة وصاح في لهجة انتصار :

- لقد كنت متأكدا !

- متأكدا من أي شيء ؟

رفع المعجب العنيد عينيه من فوق تمثال "امرأة الماضي" ووجه ابتسامة ساحرة إلى "سابرينا" .

- اسمعي إنني في حاجة حقا إلى مقياس لين .. هل أنت متأكدة من أنك لاتملكين واحدا ؟

- طبعا عندي واحد ولكني من يومين لم أتمكن من العثور عليه. ركز نظرة متمعنة على الحزام الذي يحيط خصر الفتاة الرشيقة ممشوقة القوام ثم قال :

- ليست هناك مشكلة .. إن حزامك يمكن أن يقوم بالمهمة .. أرجوك أن تقرضيه لي .

رغم غرابة سلوك ذلك الغريب إلا أنه كان يتمتع بقدرة غريبة على الإقناع . كان يبدو وكأنه على وشك أن يكتشف كوكبا مجهولا وأن كل شيء لابد أن يسخر لخدمته ومساعدته . لم تستطع "سابرينا" أن تقاومه فاستجابت لطلبه

أخرج قلم حبر من جيبه دون أن ينطق كلمة ثم عندما بدأ يضع سن القلم على القماش الرقيق للحزام استعادت "سابرينا" صوابها وصاحت في غيظ :

- إنك لن تضع علامات بالحبر على حزامي ؟

- أرجو المعذرة .. لم أنتبه .. هل لديك قطعة طباشير ؟

أخذت "سابرينا" تشق طريقها بصعوبة وسط مدعويها واتجهت إلى مائدة عملها لتعود ومعها قطعة من الطباشير . أخذها منها الغريب لينهمك في وضع علامات على الحزام توضح المسافات التي تفصل الخطوط البارزة فوق التمثال ثم يسجلها في الحال فوق ورقة الرسم .

سألها وهو يواصل عمله :

- "أونتاريو" أليس كذلك ؟

- أرجو المعذرة .. لست أفهم .

- أنت تعرفين طبعا أن "أونتاريو" هي مقاطعة في كندا . إن الحجارة أحضرتها من هناك .. مضبوط ؟

- لا إطلاقا .. لقد عثرت عليها بالقرب من هنا في جبال "أديروندك" إذا أردت الدقة .

- مستحيل !

- ولماذا أجشم نفسي متاعب الكذب عليك ؟ لقد كان بعض العمال يقومون بإنشاء طريق وطلبت منهم أن يقطعوا قطعة حجارة لي . والآن إذا لم يكن يضايقك فإنني أطلب منك أن تشرح لي ماذا هناك ؟

- حسنا .. لم أكن متأكدا من الأمر بعد .. فقط لو استطعت ... دون أن يكمل الرجل عبارته ترك قطعة الطباشير وتناول قلم رصاص . نظرت المضيفة من فوق كتفه إلى اللوحة ولم تستطع أن تخفي إعجابها بدقة خطوطه فوق الورق . سرعان ما ظهر رسم غريب عبارة عن ست فقاعات بكل منها قرنان ومرتبطة بعضها ببعض بخطوط متعرجة تشبه ستة نواقيس كنسية معلقة فوق قمة تل . قالت "سابرينا" عندما فرد الغريب ظهره أخيرا ونظر بإعجاب إلى عمله :

www.efromania.com

- لعلك تكون راضيا . وإذا كان الأمر لا يضايقك فارجو الا تلمس تمثالي بعد ذلك .

- لا تقلقي فإنني لن أطفيء لمعانه . أتدرين انه يجب عليك أن تشكري حظك لأنني حضرت ، فبفضلي سيحظى تمثالك بالمجد .

لقد تجاوز الأمر الحد . من يظن نفسه ذلك الدخيل الذي أفسد أمسيتها ؟ قالت بغيظ :

- إن تمثالي ليس بحاجة إليك ليصبح مشهورا .

قال وقد عاد ينهمك في حساباته :

- طبعا

لقد انهمكت الفنانة خلال ستة أشهر كاملة في هذا التمثال . لقد كان هذا العمل دون شك أعظم ما صنعته يداها وسيثبت الغد إن كانت على حق في إصرارها على صنع هذا التمثال . وربما عوضها أخيرا عن سنوات الحرمان التي فضلت فيها أن تعيش على الكفاف عن أن تصنع تماثيل قليلة الثمن . إن مزاد البيع غدا يمثل في الحقيقة فرصة استثنائية في مهنة الشابة . كان المزاد قد نظم لصالح صندوق رعاية الفنون ، ورغبت في أن تنال مكانة رفيعة بين الفنانين الذين يقدمون أعمالهم.كانت عملية اختيار المرشحين عملية قاسية وصارمة وكان حظ "سابرينا" استثنائيا عندما اختيرت للاشتراك وقد أتاح هذه الفرصة لها "ارثرويلنجتون" نائب مدير محلات "لويدز" في نيويورك وقد تطلب منها ذلك عملا شاقا لصنع معجزات رائعة في فترينات عرض المحلات وهكذا عملت بمحلات "لويدز" حيث سحرت بموهبتها "ويلنجتون" مما جعله يقنع هيئة التحكيم بسهولة باختيارها ضمن العارضين .

وخلال أشهر طويلة عملت "سابرينا" في جبهتين : تمثالها وإعداد فترينات عرض محلات "لويدز" .

وقد تصورت من أجل الفترينات مشروعاً حاز حماس رئيسها لغرابته . كانت فكرتها تتركز في تقديم "مانيكانات "الشمع في مناظر مستوحاة من قبل التاريخ وتقديم حيوانات منقرضة تواجه رجل الكهف . كانت قد أرسلت من ثلاثة أسابيع إلى متحف التاريخ الطبيعي قائمة بالعناصر التي تحتاج إليها لتنفيذ خطتها ومعها طلب اقتراضها . انتظرت الرد في الوقت الذي ركزت كل ذهنها وجسدها لتمثال "امراة الماضي" .

وهاهي الآن تجد تمثالها الذي هو محور كل آمالها يتعرض لهجوم دعائي مضاد ومخجل . وممن ؟ من ذلك المجنون الذي يصر على أن يظل راكعا على ركبتيه . ولكن كيف تستطيع أن تجبره على الرحيل دون أن تحدث ماساة ؟ من الأفضل دون شك أن تدعه في حاله . وإذا حالفها الحظ فسرعان ماسيتعب من هذا الفحص الغامض الذي يقوم به .

استدارت المضيفة على عقبيها دون أن تنتبه لتجد نفسها وقد سقطت بين ذراعي زائر جديد :

- أوه .. "جيف" إنني سعيدة برؤياك . يالها من مفاجاة !

- لقد كتبت لك من "فلورنسا" لأخبرك بانني ساحضر . لم يكن هناك ما يمكن أن يمنعني باي ثمن من حضور مزاد الغد .

كان "جيف" مرتديا ربطة عنق على شكل الفراشة على قميص فضفاض وبنطلون كاكي بجمالات عريضة وكلها ملابس لاتنم عن أن "جيف" رجل ثري ، ومع ذلك فإنه رغم صغر سنه كان يتكلم بلهجة واثقة تخص الأشخاص الذين ينعمون بالثروة .

ظل الصديقان يثرثران حوالي عشر دقائق عندما سمعا تعليقا أقلق "سابرينا" :

- إن عملك نال نجاحا لم أكن أظن أنه سيحظى به . إن المعجبين يتكالبون ويتجهون حوله .

استدارت "سابرينا" في قلق حيث رأت حلقة حول تمثال "امرأة الماضي" . لم يكن الجمهور ملتفا حول التمثال في الحقيقة وإنما حول الرجل الراكع على ركبتيه وهو مستمر في حالة العشق والهيام .

صاحت الفنانة :

- لقد زاد الأمر عن حده .. إنه بلاحياء.

شرحت لصديقها في كلمات مقتضبة الموقف الغريب الذي حدث بينها وبين الغريب . دهشت عندما وجدت رفيقها يبتسم ابتسامة وضاءة وصاح :

- إذا لم أنخدع بالأسباب التي وراء اهتمام السيد "فورستر" المبالغ فيه فإن كل "نيويورك" ستتحدث عن تمثالك .

- لست في حاجة إلى هذا الشخص كي تتكلم المدينة عني ! ثم من السيد "فورستر" ؟ إنني لم أوجه إليه دعوة للحضور .

في هذه اللحظة بالذات أيقظ الاسم ذكرى في عقلها فسألت رفيقها :

- هل قلت "فورستر" ؟

- بالضبط .. "كولن فورستر" إنه ...

- إنه من المتحف ... متحف التاريخ الطبيعي ؟

- بالضبط .. إنه رئيس قسم الحفريات المتحجرة .

- أوه .. لا ! لا ينقصني إلا هذا .

تبعت صديقها وهما يشقان طريقهما وسط الزحام ليسارعا نحو المكتب الدائري . رفعت الحاجز الأفقي ثم أمسكت بمجموعة من الأظرف التي لم يتم فتحها بعد . سألها "جيف" في تبرم :

- ألا تفتحين أبدا بريدك ؟

- إطلاقا عندما انتهي من تمثال لأن ذلك يمكن أن يجعلني مترددة حول عملي .. هاهو ما كنت . أبحث عنه .

أمسكت ظرفا عليه خاتم رسمي :

- انظر من الذي أرسله لي ؟ "كولن فورستر" من متحف التاريخ الطبيعي .

فتحت الظرف وانهمكت في القراءة بينما مط "جيف" عنقه ليستطيع الرؤية أفضل .

- سيدتي :

لقد تلقيت طلبك الخاص باستعارة بعض الأشياء لمحلات "لويدز" من المتحف . ولسوء الحظ ليس من الممكن الاستجابة لطلبك أولا : لأن القطع المطلوبة في قائمتك ذات قيمة رفيعة وبعضها هش جدا وثانيا : فإن المتحف لا يمكن أن يسمح بالاستغناء ولو فترة قصيرة عن كل هذه الأشياء . وأخيرا فإن الهياكل العظمية التي تطلبينها ذات حجم ضخم ويتطلب عرضها مساحات واسعة وغير مسموح بعرضها في الفترينات .

لقد أكدت إدارة محلات "لويدز" أن المشروع سيتم بطريقة محترفة عالية ومن ناحيتي أشك في جدية هذا العمل من حكمي على ضخامة القائمة المطلوبة . إنني أحيانا أوافق على إعارة بعض ممتلكات المتحف ومع ذلك أصر على أن تصبح في حوزة شخص لديه إمكانات فنية عالية . وبالنسبة للوضع الحالي وما أحكم عليه من القائمة المطلوبة لا أستطيع أن أضع ثقتي بمن أعدها ولكني على استعداد للنقاش في الموضوع مع شخص على كفاءة عالية .

بعد ذلك ختم الخطاب بالعبارات التقليدية المهذبة .

أثارت قراءة الخطاب لدى "سابرينا" تساؤلات عديدة ثم بدأت تحس

www.elromancia.com

شيئا فشيئا بالمهانة . أخيرا صاحت معلقة :

- أي حمار منفوخ متعجرف يظن نفسه وكيف يجرؤ على استخدام هذه اللهجة المهينة ؟

كانت تتميز غيظا وهي تنظر والشرر ينطلق من عينيها إلى نهاية القاعة . إلى ذلك المجنون الذي ظل منهمكا في التمثال في حب وغرام والذي لم يكن يلقي انتباها إلى اي شيء آخر . قالت لـ"جيف" :

- تعال .. ساقول له كلمتين .

اخترقت طريقها بين المدعوين واقتربت من المجنون وقالت بصوت حاد :

- هل انتهيت ؟

بدا أن لهجتها الحادة لم تؤثر في العالم الذي أجاب ووجهه ينضح بهجة :

- ليس بعد . انظري !

نهض من جلسته الغريبة وجذب الشابة بالقرب منه . دهشت عندما اكتشفت انه ضخم ثم عادت لغضبها مرة ثانية قال لها :

- أترين هذا ؟ وهذه ؟ ما رايك ؟

ثم اكمل حديثه دون ان ينتظر رايها في لهجة منتصرة :

- إنها من "السيموريان" .. هذا على الاقل رايي .

استدار نحو جمهوره وكانه منتظر ان يستقبل كلامه بعاصفة من التصفيق الحاد ولكنه لم يقابل سوى نظرات متشككة . ثم قال دون ان يهتز :

- ساتاكد من ذلك عندما اخدش الحجر .

صرخت الشابة بصوت هادر وقد فقدت سيطرتها :

- إنك مجنون !

مد نوتة الرسم تحت انف "سابرينا" . كانت أجراس الكنيسة قد اختفت من الرسم وحل محلها حيوان غريب يشبه إلى حد كبير التمساح . قالت في صوت متهدج :

- ولكنه هيكل عظمي .

- إنه حيوان "السيموريان" .. هكذا قلت لك .

- هل تريد أن تقول لي إنه يوجد حيوان ميت داخل الحجر ؟

- حيوان متحجر إذا أردت الدقة ويبقى أن نعرف هل لا يزال سليما .

اخذ يتامل التمثال بعينين يملؤهما الحماس وكانه هاو من هواة الفن اكتشف لتوه فنانا مجهولاً مثل "بيكاسو" ثم انحنى مرة أخرى على الحجر واخذ يربت على الخطوط البارزة . انحنت "سابرينا" بجواره وهي مذهولة وتبعها المتفرجون . همس بصوت حالم :

- على اية حال قد يكون شيئا آخر غير "سيموريان" .

أخرج مدية من جيبه واخذ يحك الحجر ولكنها امسكت بيده بحركة عنيفة .

- ماذا تفعل ؟

- مجرد اختبار علمي بسيط .

- لا .. ليس على تمثالي .. هذا مستحيل !

دارت الشابة حول نفسها لتشهد الجمهور على ما يحدث والذي اخذ ينظر إليها في ارتباك .

قال لها في حماس وهو يضغط يدها بين يديه :

- هل لديك فكرة أن هذا الشيء يبلغ من العمر مائتين وخمسين مليون سنة !

احست "سابرينا" بالضياع واكتفت بالصمت تساءلت هل يتحدث بجد ؟ حسب مظهره يبدو الأمر جادا ومع ذلك فقد لحظت شبح

www.elromancia.com

ابتسامة متهكمة في زرقة عينيه اختفت عندما ترك العالم يد مضيفته وقال معلقا بلهجة العلماء :

- إنني متأثر جدا .. آترين ! لن أدهش لو اكتشفت أن ذيل هذا الحيوان موجود في ساق السيدة وفي هذه الحالة فإن رأسه يوجد في مكان مانحو . وضع اصبعه نحو أسفل ذدي المرأة التمثال .

وقال في انتصار وهو يربت على المكان في حماس :

- هنا .

سرت همهمة وسط الجمهور ولم يهتز "فورستر" وأكمل :

- أعتقد أنه حيوان برمائي والاحتمال الأكبر أنه "السيموريان" أو نوع مشابه .

قاطعته "سابرينا":

- إن أقارب "السيموريان" لا يهموني في شيء . إن الأمر كله يثير السخرية .

- ولكن ألا تفهمين أن وجود حيوان متحجر داخل تمثال أمر غير مألوف ؟

أخذ عالم الحيوانات المتحجرة دون انتظار الرد في العودة إلى وضعه السابق وجثا على ركبتيه ليستانف عملية الفحص وأمام صمته الطويل أخذ المدعوون يتفرقون ويتبادلون التعليقات في حرية.

قالت الشابة :

- برافو ! .. لقد انتصرت والآن أصبح كل الناس على علم بالأمر ولن يتحدث الناس إلا عن اكتشافك دون الحديث عن عملي الفني .. أتدري ماذا فعلت ؟

- طبعا .. لقد اكتشفت شيئا فريدا ويجب أن تسعدي .

- أسعد ! لماذا أسعد ؟

- حسنا إنه شرف لك .. ألا تفهمين ذلك ؟

كان يتحدث بتواضع . فكرت الفنانة أنه مجنون من المخبولين بالعلم وممن ينهمكون من وقت لآخر وسط الكتب التي يغطيها التراب . قالت:

- أعتقد أن الأمر يهدد بكارثة بالنسبة لي . إن اكتشافك الصغير سيخفض من ثمن تمثالي . وقبل كل شيء فإن الناس لن تشتري تمثالا يحتوي على مخلوق غير موجود على الأرض .

أطلق "فورستر" ضحكة مرحة وقال :

- بالضبط . ولكن ليست هذه هي المشكلة .

دس يده في جيبه وأخرج دفتر شيكات :

- كم تريدين ثمنا له ؟

صعدت الدماء إلى خدي "سابرينا" وسألته :

- أتريد شراءه ؟ لماذا ؟ كي تحطمه وتظهر الحيوان الزاحف التافه ؟

- إنه ليس من الزواحف .. إنه حيوان برمائي .

فجاة تذكرت الفنانة الخطاب الذي كانت لاتزال ممسكة به ووضعته في غضب تحت أنفه .

- أتذكر ياسيدي العزيز الرسالة الرقيقة التي أرسلتها إلي ؟ إن هذا النوع من البلاغة التي يمكن أن تجذب الأصدقاء نحوك إذا أردت رأيي .

واجه "فورستر" الهجوم بشجاعة :

- لقد طلبتك تليفونيا عدة مرات دون أن أفلح في العثور عليك ولو استطعت الحديث معك لما أرسلت لك ذلك الخطاب . إن الأمر عاجل بالنسبة لمحلات "لويدز" وكان علي أن أفعل شيئا .

- لم يكن هناك خطر مميت ولم نطلب ردا إلا في الشهر القادم.

رد عليها بصوت رزين :

- إن الشهر القادم يبدأ غدا

www.elromancia.com

- حقا ؟ حسنا سارى غدا المتابعة اللازمة لهذا الأمر .

دارت على عقبيها دون أن تتابع مرافقها كي تختفي وسط مدعويها . مادام هذا الملحوس لا يريد أن يستمع إلى أي شيء فعليها أن تتركه وجها لوجه مع حيوانه البرمائي .

الفصل الثاني

مرت لحظات الذهول . بعدها اندفع عالم الحفريات وراء سيدة المكان ولسوء حظه كان "جيف" في طريقه واصطدما فانسكبت الكاس التي في يد "جيف" على بدلتيهما . تلعثم "فورستر" :

- آسف .. إنني لم أشاهدك .

أجاب "جيف" وهو يبتسم :

- لا باس .

احتسى بقية الشراب وهو يفحص الرجل الذي أمامه .

- يبدو أنك مغرم بتمثال المراة القديمة . أتدري أنه أكبر انتصارات مضيفتنا ؟ لقد عملت فيه ليل نهار طوال عشرة شهور وقد تطلب منها الأمر أن ترسم العديد من الإسكتشات إلى أن اختارت موضوعها .

استدار العالم نحو التمثال ولأول مرة فحصه من زاوية غير علمية وقال معترفا :

www.elromancia.com

- إنه عمل ممتاز .. إنني لست خبيرا ولكن .

- إن الجميع يمكن أن يقرروا أنه تحفة فنية وأنا على استعداد لدفع أي مبلغ للحصول عليه .

- حسنا .. ليس أمامك سوى أن تشترك في المزاد غدا .

- إن "سابرينا" لن تسمح بذلك . لقد حاولت من سنوات طويلة أن أشتري منها بعض لوحاتها .

أشار "جيف" بيده إلى جدران المرسم المعلق عليها اللوحات وقال :

- أترى كل هذه اللوحات ؟ ومع ذلك لا تريد أن تتنازل لي عن واحدة فقط .

- لماذا إذن ؟

- لأنها عنيدة .. عنيدة ألف مرة .

- لست أفهم .. إذا كانت لا ترغب في الابتعاد عن أعمالها فلماذا رضيت أن تقدم تمثال "امرأة الماضي" في مزاد البيع غدا؟

حدج "جيف" محدثه بنظرة استغراب .

- إن لك سمعة أنك شديد الذكاء ولكنني لا أظن أنك تعرف شيئا عن عالم الفن .

- هذا حقيقي . ولا أدعي معرفة شيء عن هذا الموضوع - ما إن يشتهر أحد أعمال الفنان فإن كل أعماله تصبح محل تقدير . لقد عملت "سابرينا" سنوات طويلة في انتظار اليوم الذي يتم الاعتراف فيه بموهبتها . وربما تحقق حلمها غدا .

قطب العالم جبينه في تفكير ثم قال :

- إنني لا زلت غير قادر على الفهم . إذا كنت قادرا على شراء أعمالها بثمنها الحقيقي فلماذا ترفض ؟

- إنها تخشى أن أصبح محاميا لها .. إنها تريد أن تنجح بنفسها

دون أن تدين بمعروف لأحد .

- فهمت . هذه هي العبقرية الحية التي تنتظر المجد .

قال "جيف وهو يبتسم :

- شيء من هذا القبيل .

فحص العالم محدثه ولاحظ الرقة والعذوبة في كلامه مما لا يدع مجالا للشك في إعزازه لصديقته ورغم عدم مبالاة "فورستر" الطبيعية بهذه الأمور فإنه لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يسأل :

- هل أنت خطيبها ؟

- أوه لا .. إطلاقا . أولا أنا صغير جدا بالنسبة لها ثم إنني لا أعتقد أن "سابرينا" فكرت في أبدا من هذه الناحية .. إننا بالضبط صديقان حميمان .

- إذن أنت دون شك فنان مثلها ؟

- أنا ؟ إنني لست قادراً على الإبداع وأنا أهتم بالفن لأنني ببساطة أستطيع أن أحصل عليه .

- إذن يمكن أن تكون المشجع لها ؟

- لقد عرضت عليها ألف مرة دعمها فلدي المال الوفير تحت تصرفي.

خفض "جيف" عينيه نحو ملابسه البوهيمية ثم قال وهو ممتعض في سخرية :

- إن هذه الملابس هي مجرد تظاهر بالفن .

ابتسم العالم :

- على الأقل أنت صادق مع نفسك .

- صادق ؟ أوه نعم إنني أعتبر ذلك صفة مهمة جدا وهي التي تجعلني أحب "سابرينا" هي وصفات أخرى . إنها شخصية صادقة مع نفسها .

توقف الحديث عند هذا الحد فقد جذبت سيدة جذابة "جيف" من ذراعه . ورغم هذا الحديث المختصر فإن "فورستر" استطاع أن يعرف الكثير عن شخصية "سابرينا" .. لا شك انه تصرف معها ببعض الوقاحة وعزم عزما صادقا أن يحاول أن يعالج ذلك . فجاة سمع "فورستر" صوت رجل :

- إذن أنت عالم الأنثروبولوجيا الشهير !

دهش العالم وتطلع إلى محدثه . كان ضئيل الجسم مربعا وسمينا وكان يتكلم بلهجة أهل الضواحي المميزة . صحح له العالم معلومته وهو يبتسم :

- عالم كائنات حية متحجرة .. إنني مهتم بالهياكل القديمة .

- أوه ... الديناصورات .. هل تقصد ذلك ؟ أنا "سال موتوشي" ساعي البريد لهذا الحي وصديق "سابرينا ميلندي" . لقد شاهدناك وانت تفحص التمثال وإذا كنت قد فهمت فإنك اكتشفت داخله ديناصورا .

- أوه .. ليس بالضبط .. انت تعلم أن الديناصورات مخلوقات ضخمة بدرجة هائلة ..

تملكت العالم نزعة حب لعمله وانطلق في حديث فني لا شك ان مستمعه لم يلتقط منه كلمة واحدة وإن كان قد جذب انتباه المحيطين به . اقترب منه رجل ياباني في بدلة رسمية صارمة كي ينهل من كلمات العالم . قدم نفسه منتهزا فرصة الصمت :

- أنا "ميشيرو ابيزيتو تاشومي" . ويمكنك ان تناديني "ميشي".

إن وجهات نظرنا تتطابق في نقاط عدة .. لقد كرست حياتي لدراسة الديناصورات .

كان يتحدث بحماس واضح فاشرق وجه "فورستر" . أخيرا عثر على

حليف له وسط جمهور محبي الفنون .

- حقا ! هل أنت عالم حيوانات متحجرة ؟

- لا .. انا مخرج سينمائي .

- لست أفهم :

- إنني أخرج أفلام الرعب وأخر فيلم لي اسمه "جواندولين ووحوش الفضاء" هل رايته ؟ لقد نال نجاحا ساحقا في اليابان .

- انا متاكدة من أن السيد "فورستر" لا يذهب لمشاهدة هذا النوع من الأفلام يا "ميشي"

كانت "سابرينا" هي التي تكلمت ورغم لهجتها الودود إلا أن صوتها لم يخف مشاعرها العدوانية نحو "فورستر" . استانفت حديثها :

- لابد أنه مشغول بالعمل الكثير وهو منهمك دائما وسط المؤلفات العلمية الجادة العتيقة . أليس عندي حق في قولي هذا يا سيدي ؟

رفع العالم المقصود بهذاالكلام حاجبه وقال :

- في الحقيقة .. لا يمكن أن تقولي أفضل من ذلك ..

تدخل موزع البريد في الحديث وهو يحدث الياباني بحماس :

- هاي ! هل قلت "جواندولين ووحوش الفضاء" ؟

لقد شاهدت فيلمك ! أليس الفيلم الذي فيه حيوان "برونتوصور" يحطم طوكيو ؟

ظهرت ابتسامة عصبية على شفتي المخرج .

- إنك أخطات الفيلم . ففي فيلمي كان الوحش يحطم مدينة "كليفلاند"

هز ساعي البريد "موتوشي" راسه وانتهز "فورستر" فرصة الصمت فوجه الحديث إلى صاحبة البيت :

- لست متربا كما تظنين ويمكنني أن أدهشك عندما ...

ظلت عبارته معلقة دون أن يتمها ووضع أصبعه في انتصار على صدر المدعو "تاشومي" بينما قال ساعي البريد :

- إن فيلم "كنج كونج" و "جواندولين" من صنعك أليس كذلك ؟

وافقه المخرج السينمائي في تواضع وحاول دون جدوى أن يعود إلى حديثه مع العالم ولكن الساعي استمر :

- لقد شاهدت كل أفلامك . ذلك الفيلم الذي ابتلع فيه الديناصور العشبي المحيط الهادي وآخر فيه هدم الديناصور جبل "إيفرست" .

اندفع "فورستر" في هذه المرة قائلا :

- إنه فيلم "تورجو الرهيب"

استدارت ثلاثة أزواج من العيون نحوه غير مصدقة ، تبع كلامه فترة صمت قصيرة ثم قطعه العالم بصوت هادئ وهو يشرح لمستمعيه:

- إنني أحب مشاهدة الأفلام التي تعرض في وقت متأخر في التليفزيون .

ساله المخرج الياباني بحماس :

- وهل رأيت المزيد من أفلامي ؟

- في الحقيقة لا أعتقد ذلك .

- لا باس أود أن أطلب منك معروفا .. هل يمكن أن تكون المخلوقات التي اخترعتها سبق أن وجدت على الأرض ؟ هل هي حقيقية ؟

تردد العالم لحظات وعندما نظر بسرعة إلى جارته "سابرينا" اكتشف أنها على استعداد للهجوم عليه .

- في الحقيقة أعتقد أن الحقيقة لاتهم مشاهديك كثيرا . لم يوجد أبدا ما يسمى بالوحوش الخرافية أقصد ما يسمى بالديناصورات التي يبلغ ارتفاعها مائة متر .

- هل يمكنني أن أعرف طولها الحقيقي ؟

- كي أصدقك القول فإن الديناصور لم يكن يستطيع أبدا أن يحطم مدينة ولكن ما ينتظره المشاهدون منك هو أن تخرج فيلما عن المغامرات وليس فيلما وثائقيا .

ما إن أتيحت الفرصة لـ"سابرينا" للحديث عندما اتجه الساعي والمخرج نحو بوفيه الطعام حتى قالت لـ"فورستر":

- هل من الضروري أن تكون متمسكا بالعلم لهذه الدرجة ؟ إن المخرج "ميشي" قام بأعمال رائعة من هذا النوع فهو محترف وجاد .

- أعرف ذلك . ولهذا قلت له الحقيقة . إنها ما يريد أن يعرفه . ألا تدركين ذلك ؟

كان وجه الفتاة يكشف دون شك عما يدور في ذهنها : إن ذلك العالم البرمائي الملحوس مصدر إزعاج وهادم للذات . سالته في غيظ :

- هل أنت مزعج في آرائك هكذا دائما ؟

- لا ، عندما أشاهد أفلام الرعب فقط .

لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام وقالت :

- حسنا- دعنا نكف عن الحديث . يجب أن أتركك لأن علي أن أفتتح البوفيه وأشرف عليه .

- سأساعدك إذا رغبت في ذلك .

كان مطبخ الفنانة مزودا بكل الأجهزة والأدوات الحديثة يعكس مدى كفاءة الفنانة وخبرتها في الطهي . أخذ "فورستر" يفحص بإعجاب الأطباق المليئة بالطعام فوق المائدة . قالت المضيفة له معلقة :

- يمكنك أن تتذوق الطعام ياسيدي .

- "كولن" نادني "كولن" قد لا أكون خبيرا في الفن الحديث ولكني دون شك ذواقة للطعام . دس أصابع نهمة وسط إناء السلطة وخرج

بشريحة من الخيار اكلها في تلذذ .

- إنها لذيذة للغاية .. وما هذه ؟

- إنه طبق مكرونة يا سيد .. مجرد طبق مكرونة بسيط . كانت الهدنة التي بدا أن الاثنين عقداها بينهما على وشك أن تنهار . صاح العالم :

- اسمعي . أرجو ألا تسمحي لعلاقتنا أن تتاثر بذلك المشهد الكريه الذي حدث بيننا منذ قليل .

- أية علاقات ؟ من ناحيتي كل ما انتظره منك هو أن تقرضني بعض الأشياء والهياكل العظمية من متحفك وأن تكف عن الحديث عن ذلك المخلوق المومياء الذي ينام داخل تمثالي .

صحح لها معلوماتها بصبر شديد :

- ليس مومياء .

- ألن تفكر يوما ما في غير عظامك المتعفنة ؟

لوح بيده في حركة عدم اكتراث متجاهلا ملاحظتها ورد دون أن يبدو عليه الضيق :

- لقد ذكرتني بضرورة أن ألقي نظرة أخيرة على تمثالك قبل أن أرحل .

- إنك شخص غير معقول ! حسنا أود أن أقول لك شيئا يا سيد "اينشتين" . إن نقص الحرفية عندي كما تقول لا يصل إلى مستوى جهلك بالفن ومهما كان ظنك فإنني سازين واجهات محلات "لويدز" بالطريقة التي تعجبني وافهمها .

- وحتى يتم لك ذلك لابد أن تحصلي على موافقتي وإلا اصبحت مطالبك لاقيمة لها .

اختارت الشابة زاوية جديدة للهجوم عليه وقالت في لهجة مثلجة

منتقاة :

- أود أن اذكرك أن محال "لويدز" قدمت تبرعا لمتحفك العزيز قدره ثلاثة ملايين فرنك وفي مقابل ذلك لنا الحق في الحصول على بعض التعاون . اليس هذا رايك ايضا ؟

كانت "سابرينا" تعتبر منطقها مقنعا لا يمكن أن يرفضه وزاد من قناعتها ضحكته التي استقبل بها "فورستر" هذا التهديد ثم قال :

- من ناحية التعاون فنحن على استعداد لتقديمه على العين والراس ولكن من أجل أي هدف ؟

من أجل أن توضع العينات الثمينة النادرة وسط تماثيل العرض المصنوعة من الشمع والتي ترتدي معاطف الفرو وملابس النساء الداخلية الفاضحة .

اغمضت "سابرينا" عينيها فترة وهي تحاول أن تبذل كل جهدها لتحتفظ ببرود اعصابها .

- لقد لمست يا سيدي العزيز قلب المشكلة . إن هذا ما تريده بالضبط أن نقدم وحوشك المرعبة لتظهر التناقض بينها وبين المصنوعات الفاخرة التي نقدمها : القبح مقابل الجمال هذا هو هدفنا.

اخذت تتامل محدثها في تحد سافر وفي لهجة انتصار قالت :

- ولا تنس رجل الكهف بقطعة الجلد التي تغطي عورته . إنني انوي أن اعرضه بجوار تمثال امراة مرتدية ملابس داخلية فاخرة من الحرير .. ياله من برنامج مثير .. اليس كذلك ؟

- إنه امر مثير للسخرية ولكنك لن تحصلي على شيء مني .

عندئذ فقدت الفنانة هدوءها وتصاعد صوتها في حدة :

- إنك تعتقد انك ترى كل شيء بوضوح . انتظر حتى ترى راي رئيسك .

www.elromancia.com

- إن الرئيس هو أنا .

أخذ "فورستر" حبة فول سوداني مغطاة بالشوكولاتة في حركة انتصار ورفعها إلى فمه ثم قال :

- إنها لذيذة .. فول سوداني .. أليس كذلك ؟

- لا يا سيدي .. إنها جرادة منقوعة في الخل .

بدا الانشراح على وجهه وأخذ قفاز مطبخ وارتداه ثم أخذ في فتح باب الفرن ولكن الباب استعصى على الفتح ولكنها كامرأة خبيرة باعمال المطبخ طرقت على جزء من الباب بفتاحة علب فانفتح بسهولة ليكشف عن صينية مغطاة بصلصة وأصابع من السجق . نسي الاثنان غضبهما وانطلق العالم في الضحك :

- يمكن القول أن لك طريقتك الخاصة والسرية في فتح أجهزتك!

تبع ذلك فترة صمت ويبدو أن الهدنة عادت مرة أخرى وحاول عالم الحفريات المتحجرة أن يجد موضوعا للحديث دون جدوى . استانفت المضيفة الحديث :

- هل يمكن أن أطلب منك أن تخرج الكؤوس الزجاجية ؟

مد "فورستر" يده بسرعة نحو الثلاجة . أشارت "سابرينا" إلى أثر جرح طويل أسفل أصابعه :

- كيف حدث لك ذلك ؟

ابتسم وعرض ذراعه نحو الضوء كي تعجب المضيفة بالجرح على طول ذراعه وقال :

- لقد عضني برونتوصور .

عندما رأى عدم التصديق على وجهها ضحك .

- إنني لا أكذب .. لقد كنت عضوا في بعثة حفريات في "منغوليا" تهيأ لي أنني أرى آثارا محفورة لحيوان قديم فوق التل مما أثار

انتباهي و...

في هذه اللحظة بالذات دخلت امرأتان المطبخ وقالتا معا لصاحبة البيت :

- هل أنت في حاجة إلى مساعدة ؟

صاحت "سابرينا" وهي تلقي بنفسها بين أحضانهما .

- "فيرونيكا" ! "اليجرا" كم أنا سعيدة برؤيتكما !

بعد أن انتهين من عملية تبادل القبلات استدارت القادمتان نحو الرجل الضخم في رشاقة والذي كان يتاملهما في سرور . قالت الفتاة النحيفة :

- يوم سعيد أنا "فيرونيكا كوين" .

أضافت الثانية :

- وأنا "اليجرا روسو".

شرحت "سابرينا":

- إنهما من أعز صديقاتي .. لقد كنا معا في الكلية وكونا جمعية والآن جمعية "لوكولوس" تضم مئات الأعضاء و"اليجرا" رئيسة الجمعية . شرحت الرئيسة:

- إنها جمعية اتحادية تضم كل هواة الفنون .

قالت "سابرينا" موجهة الحديث إلى صديقتيها :

- أقدم لكما السيد "كولن فورستر" عالم الهياكل العظمية الشهير .

صحح لها "فورستر" في غضب :

- عالم حفريات الحيوانات المتحجرة .

حدجته "سابرينا" بنظرة متهكمة .

- بالنسبة لي أي شخص يتسلل في خفاء عند شخص ما ويفحص عمله هو حفار قبور وأسوأ .

www.elromancia.com

قاطعتها "فيرونيكا" :

- الرحمة يا "سابرينا" . ماذا افعل لاساعدك ؟

قال "فورستر":

- ساترككم . وساستانف حديثي معك يا انسة فيما بعد .

* * *

كان المرسم مزدحما بالناس . انتهز العالم اللحظة المناسبة ليلقي نظرة خفية على تمثال "امراة الماضي" ما إن وجد نفسه هناك حتى سمع طرقة خفيفة من ناحية الباب . فتح الباب وابتسم للشخص متوسط العمر ذي الملابس الفضفاضة الواقف على عتبة الباب وقد حمل ربطة داكنة بين ذراعيه وقال :

- لقد أحضرت تشكيلة كاملة من الجبن .

- حسنا .. ساخذها واتولى امرها .

أخرج "فورستر" قطعة نقود من جيبه وناولها إلى محدثه .

- خذ هذه نظير متاعبك .

نظر الرجل إلى قطعة النقود في حيرة ثم ابتسم وقدم الربطة للذراعين الممدوتين إليه . عندما شاهد "فورستر" صاحبة البيت قادمة اشار إلى الربطة برأسه .

- لقد أحضرها الشخص المكلف بالتسليم .

سمع صوت "سابرينا" المثلج يقوم بعملية التقديم:

- دعوني اقوم بالتقديم : السيد "كولن فورستر" السيد "ارثر ويلنجتون" نائب مدير محلات "ويدز" .

صاح "فورستر" وقد بدا عليه الضيق :

- ارجو المعذرة . لقد اعتقدت ...

انطلق "ويلنجتون" في الضحك وهو يعيد قطعة النقود إلى صاحبها

وهو يقول :

- اعترف انك ادهشتني وفاجاتني .. إنني حقا لا ارتدي ملابس السهرة حيث لم يتح لي الوقت لتغيير ملابسي ولكن قل لي يا "فورستر" .. "فورستر" ! هل انت عالم حفريات الكائنات المتحجرة؟

- فعلا .

- طبعا نحن نضع كل آمالنا في فترينات العرض التي ستعدها "سابرينا" .. إنها موهوبة بقدرة عظيمة على التخيل .. الا ترى ذلك؟ القت الفنانة التعيسة نظرة قلق على ضيفها المهم غريب الأطوار وتساءلت إن كان سيرتكب المزيد من حماقاته غير المتوقعة؟ ولكنه ظل على صمته في عناد . استمر نائب الرئيس في حديثه:

- لقد قرات مقالا عن بعثتك إلى "منغوليا" هل فعلا حدث ان عضك برونتوصور ؟

- اقسم قسم الكشافة ان هذا صحيح .. انظر إلى يدي .. طبعا إن البرونتوصور المقصود مات من قرون طويلة ولكن عظامه العجوز كانت حادة وقاطعة .

- امر مثير للاهتمام حقا ! واين ستكون بعثتك القادمة ؟

- لست ادري .. ربما انطلقت في البحث داخل المتحف نفسه .. لا يمكن ان تتصور ماذا يمكن ان يطلبوه مني .

تجهم وجه "سابرينا" وتغير لون بشرتها ولم يعد لطبيعته إلا عندما تكلم "ويلنجتون" معلنا :

- ساترككم وارجو المعذرة .. لابد ان القي نظرة على تمثال "امراة الماضي" واتمسك بالاشتراك في المزاد غدا .

عندما اصبحا بمفردهما قال "فورستر" :

- حسنا .. حسنا .. اعرف انك غاضبة .. على اية حال ساقترح عليك

اقتراحا .

- أي اقتراح ؟

- ساكف الآن عن فحص التمثال بشرط أن تسمحي لي أن أعود فيما بعد .

- وفي هذه الحالة هل سترحل في الحال ؟

- طبعا ودون شك

- موافقة .. ساصحبك للباب .

أمسكت الشابة بذراع "فورستر" وجذبته نحو الباب . عند عتبة الباب . استدار وأعلن بلهجة حاسمة :

- ساعود .. لا تقلقي .

أخيرا تخلصت "سابرينا" من هذا الضيف الثقيل واستطاعت أن تكرس نفسها لمدعويها . كالعادة لاقت امسيتها نجاحا باهرا ولم يقرر المدعوون الرحيل إلا في وقت متاخر من الليل ولم يبق سوى "فيرونيكا" و "اليجرا" عضوتي جمعية "لوكولوس" قالت "فيرونيكا" بعد أن علقت لمدة عشر دقائق على الحفل :

- يبدو انك منهكة القوى .. اذهبي وخذي حماماً ونامي وسنقوم بترتيب كل شيء.

- لن أسمح لكما بالعمل بينما انا اتمتع بالراحة .

- لا تقلقي فسننتقم منك في مرة اخرى.

في الحقيقة كانت "سابرينا" المسكينة خائرة القوى وسرعان ما اقتنعت بالاقتراح . بعد ربع ساعة كانت تغطس وسط الماء الساخن وأخذت تتمتع بفقاعات الصابون فوق جسدها من البانيو وبحثت عن روب الحمام فلم تجده واتجهت إلى أكرة الباب . حدث ما كانت تخشاه فقد كان الباب محشورا كما يحدث كل مرة عندما تغلقه . صاحت :

"فيرونيكا" "اليجرا" تعاليا لتفتحا لي الباب .

سمعت على الناحية الأخرى من الباب ضجة اقدام ثم سمعت عبارات اعتذار وصوتا عرفته في الحال :

- "سابرينا" لقد عدت .

www.elromancia.com

الفصل الثالث

صاحت "سابرينا" :

- افتح لي الباب إنني محبوسة بالداخل .

ردا على ذلك تحركت أكرة الباب ثم سمعت نفس الصوت :

- هل تاخذين حماما يا "سابرينا" ؟

- إنها اللحظة المناسبة للسؤال ! أخرجني من هنا.

دارت الأكرة مرة أخرى ولم يحدث شيء تبع ذلك بضع ركلات بالقدم وظل الباب دون حركة . صاح الصوت العصبي من الجهة الأخرى :

- ولكن ماذا فعلت ؟

- إنها ليست غلطتي . إن الباب ينحشر كل مرة عندما أغلقه بعنف .

- فهمت . لا تقلقي فساحررك .

وقفت "سابرينا" والمياه تتساقط من شعرها وأخذت تنصت ورغم السباب والركلات لم يتحرك الباب .

- أين ذهبت "فيرونيكا" و "اليجرا" ؟

- لقد رحلتا .. لقد خرجتا عندما وصلت . لقد قلت لهما إنك تنتظرينني فسمحا لي بالدخول .

- إن صندوق العدة في درج مائدة المطبخ على يدك الشمال وانت داخل . ستجد فيه كل ما يساعدك على فتح الباب .

انتهزت السجينة فرصة السكون وأخذت تبحث عن المنشفة . للأسف لقد تركتها بالخارج ولم يعد امامها من ملجا سوى البانيو حيث غطست "سابرينا" وسط الماء وهي تكوم فقاعات الصابون فوق جسدها. سمعت طرقة حادة فوق الخشب تبعتها أخرى ثم فجاة انفتح الباب على مصراعيه سقط "فورستر" كالجوال فوق الأرض . نظر وهو غير مصدق إلى "سابرينا" وهي مكومة في البانيو وبعد فترة انفجر ضاحكا فتحت "سابرينا" فمها لتحتج ولكنها اغلقته في الحال كانت شديدة الغضب ولم تجد لديها ما تقوله احتجاجا على مسلكه . أخيرا قالت بصوت بارد كالثلج :

- هل يمكن أن تتكرم بأن تناولني المنشفة . إنها فوق مقعد في الخارج .

خرج العالم من الحجرة وهو لايزال يضحك ليعود في الحال ومعه المنشفة . لسوء الحظ جذب الباب حيث انغلق بصوت عال . قال وهو يتاوه وقد اختفت في الحال رغبته في الضحك :

- أوه .. لا !

لم تقل "سابرينا" شيئا وكان وجهها يعبر عما يعتمل في صدرها قال وهو يمسك باكرة الباب :

- ربما حالفنا الحظ هذه المرة

كان ما يطلبه هو المستحيل حيث انحشر الباب ثانية .

www.elromancia.com

- هذا مستحيل .. لا يمكن أن نعيد كل ما فعلناه .

قالت "سابرينا" في شماتة وهي تلعب بفقاعات الصابون :

- هذه المرة الغلطة غلطتك .

- غلطتي ! قولي لي إذن ألم يخطر على بالك مرة أن تقومي بعملية إصلاح للباب وغيره في بيتك ؟ كيف يمكنك أن تعيشي على هذه الحالة؟

- اعتقد أن هذا الأمر يخصني أنا وليس أنت . بعد صراع لمدة دقائق مع الأكرة أحس "فورستر" بالفشل فخفض ذراعه واستدار ليتامل "سابرينا"

- حسنا .. ما الطريقة الفنية للخروج من هنا ؟

مطت الفنانة شفتيها وقالت :

- لا توجد طريقة .

- آه لو نظر إلى ناحية بعيدة عنها لأحست بالارتياح قالت لنفسها إن عليها أن تحتفظ ببرود اعصابها ولكن كيف يمكنها ذلك وشخص غريب يتاملها وهي ممددة وسط الماء ؟ قالت له أخيرا :

- هل يمكن أن تعطيني منشفتي ؟

- منشفتك ؟ أوه بالتاكيد .. أرجو المعذرة

ناولها المنشفة دون أن يلتفت بعيدا . الحقيقة أن "فورستر" لم يستطع أن يرى شيئا من الجسد الغاطس في الماء ولكن ذلك لم يمنعه من التخيل عاد إلى الواقع عندما سمع توسل "سابرينا" فهمهم في ضيق :

- ساحاول أن أفتح هذا الباب .

عندما وجدت "سابرينا" نفسها بعيدة عن نظراته خرجت من البانيو وسارعت بلف جسدها بالمنشفة ورغم الضربات المتلاحقة ظل الباب

على عناده قالت له مقترحة :

- لماذا لا تجرب استخدام الشاكوش ؟

- لأن الكالون مركب في الخارج .. حسنا أمسكي هذه .

جمع الأدوات التي أحضرها معه إلى داخل الحمام بمعجزة أعطاها مطرقة وأزميلا تستخدمهما في أعمال النحت . أمسكت اليد الخشبية بيد بينما رفعت بيدها الأخرى المنشفة قدر استطاعتها حتى لا تنزلق . لم تفلح الخبطات وضاقت صاحبة البيت من المكان المقلق وصاحت فيه:

- دعني أحاول !

استدار ورفع حاجباه علامة الإعجاب بما يراه . انشغلت بضبط المنشفة على جسدها بينما سارع زميلها يترك الأزميل الذي سقط فوق إبهام قدمها ، صرخت من الألم وأخذت تحجل على قدم واحدة وهي تدور حول نفسها في الحمام . همهم وهو يلتقط الأداة:

- أرجو المعذرة .

نزعت الأزميل من يده وثبتت المنشفة ثم فردت جسمها . أدخلت بعد ذلك الأزميل في الفجوة ما بين الجدار والباب ثم طرقت طرقة قوية بالمطرقة طارت شريحة من الخشب في الهواء والتقطها "فورستر" وهو يقول :

- من المؤكد أنك نحاتة ممتازة !

بعد أن ألقت "سابرينا" نظرة نارية على جارها قامت بطرقة جديدة فوق الأزميل وقالت متهكمة :

- أفهم أنك تعرضت لعضة من الديناصور .. إنك مثال لعدم الكفاءة التامة .

- أنا ؟ أتحبين أن تضحكي ؟ إن أي شخص يستطيع أن يعيش في

www.elromancia.com

هذا ...

صمت في الحال أمام المطرقة التي رفعتها "سابرينا" نحوه مهددة وهي تقول :

- كلمة واحدة وأصرعك .

- عندها ستسقط المنشفة إلى الأرض .

أحكمت الفنانة تثبيت المنشفة على جسدها للمرة الألف وقالت :

- إنني أعتبرك قليل الحياء .. إنني في وضع حرج وليس من اللياقة ولا النبل من جانبك أن تستغل الموقف .

قال العالم وهو يقهقه :

- يا للسيدة المسكينة وهي في حالة اليأس ! أتظنين حقا أنني سأتصرف مثل الفارس النبيل ؟

ردت عليه بغيظ :

- إنك تتمتع جيدا ! مع أن كل ذلك بسببك والأكثر من ذلك أنني لم أطلب منك الرجوع إلى هنا .

- بالضبط . أنا الذي أردت العودة .

بدأت "سابرينا" تستخدم الأدوات بمهارة وبعد عدة طرقات ظهرت فتحة كبيرة في الخشب . قال معلقا وهو مسرور وقد انحنى ليعجب بعملها :

- حسنا .. على الأقل وصلنا إلى شيء ما .

صاحت :

- يا إلهي . ماذا فعلت في بابي ؟ انظر ماذا فعلت !

- إن الغاية تبرر الوسيلة

حشر المطرقة بين المفصلات وهو يطرق الباب بقبضته بعنف وهو يسحب الباب . تجاوزت النتيجة كل ما كان يتوقعه فقد انكسرت

المفصلات والكالون وانفتح الباب .. ليسقط فوق الأرض محطما . قال وهو يشد قامته :

- حسنا .. لا أعتقد أن بابك سينحشر بعد ذلك .

نظرت إليه في قلق وهو يتطلع إلى جسمها . قالت :

- إن تكوينك لا بأس به . أرجو ألا تكون قد أصبت نفسك

- لم ينكسر شيء عندي .. أشكرك . حسنا ساتركك كي تذهبي لارتداء ملابسك .

حاولت بكل جهدها أن تخرج من سجنها وقد احتفظت بكرامتها بينما تابعها ذلك اللعين بنظراته . إنه لا ينكر أن هذه المرأة تمتلك جمالا فريدا ولكنها في نفس الوقت شديدة الإهمال بالنسبة لمنزلها . بعد دقيقتين انهمك العالم مرة أخرى مع تمثال "امرأة الماضي" وأخرج من جيبه الآلات التي أحضرها معه وأخذ يقيس كل جزء من التمثال ثم أخذ يقيد في النوتة حسابات رهيبة حسبها على الآلة الحاسبة . لم تتأخر "سابرينا" في الانضمام إليه حيث جاءت بقدمين حافيتين وقد ارتدت ثوبا يشبه القفطان لونه أزرق ورغما عنها اجتاحها شعور بالاحترام وهي تراه مخلصا في عمله . على أية حال فإن العاطفة التي تملكت العالم نحو عمله لا تختلف عن عاطفتها الجياشة نحو فنها عندما تبدع قطعة فنية رائعة . هبطت على ركبتها بجواره وابتسمت له ابتسامة ودودا وسألته :

- هل وجدت شيئا يثير الاهتمام ؟

- ربما كانت الحلقة المفقودة . ليست الحلقة المفقودة ما بين الإنسان والقرد وإنما بين الحيوانات البرمائية والزواحف .

لم تفسر تلك الكلمات شيئا بالنسبة للفنانة التقدمية ولكن الحماس البادي في صوت العالم لم يدع لديها أي شك في أن الشيء الغامض

داخل تمثالها يثير اهتمامه لدرجة كبيرة . لاحظ عدم الفهم في عيني محدثته فاخذ يشرح بصوت اكثر هدوءا :

- لقد تطورت البرمائيات شيئا فشيئا نحو الزواحف وما يوجد داخل التمثال قد يمثل الحلقة الوسطى من التطور .

- وما عمره ؟

- حوالي ثلثمائه مليون سنة

- وهل كل هيكله العظمي هنا ؟

ترك ادواته وجلس على كعبيه كي يفحص التمثال :

ثم قال معلقا :

- هذا ما اجهله . إذا كانت الإجابة بنعم فإن تمثالك يساوي ثروة . ومن الناحية العملية لا يوجد كائن متحجر مدفون تم اكتشافه عن تلك الحقبة من الزمان .

- حسنا .. لن نتمكن أبدا من معرفة ذلك .. خسارة !

في الحال تغيرت تعبيرات العالم . اختفى من نظراته ذلك الإعجاب الطفولي الذي كان يشوب تصرفاته من لحظات ليحل محله تصميم وحشي . قال بصوت واثق :

- يمكن معرفة ذلك . وسنعرفه .

- مستحيل لان تمثالي لابد ان ينقل غدا كي ...

- لقد سبق ان شرحت لي كل ذلك ولكن بقي وقت طويل على النهار ولايزال امامنا بضع ساعات .

- اسمع يا سيد .

اتسع فمه امام الفنانة في ابتسامة صريحة وقد احتفظت عيناه بذلك اللمعان الذي يشبه الصلب .

- من فضلك .. عندما انال شرف مشاهدة سيدة في حمامها الخاص

فمن حقي ان تناديني باسمي المجرد .

كان يمتلك جاذبية كاسحة حقا وتساءلت :كيف لم تستطع ان تلاحظ ذلك من قبل ؟ وهل يقوم بعملية إغراء لانه في حاجة إليها ؟ ام إنها كانت ثائرة وعصبية لدرجة كبيرة قبل هذه اللحظة من تصرفات العالم فلم تلاحظ ذلك السحر؟

مهما كان الأمر فإن عليها ان تقاوم جاذبيته المغناطيسية .

- اسمع يا "كولن" لقد قبلت ان تعود . كنت اظن انك لن تفعل ولكن لايهم . وغير ذلك فإنني لم اعدك بشيء . إن هذا التمثال ملكي وارفض رفضا قاطعا ان تبدا في خدشه او ان تفعل اي شيء ولا فائدة من ان تثير مسالة المصلحة العليا للعلم لان ذلك لن يفلح .

كان حديثها بسيطا ولكنه حازم مما أراح نفسية الفنانة . انتظرت الرد في رزانة :

- إنني افهمك تماما واعرف انك عملت عملا مجهدا وشاقا لصنع هذا التمثال واعرف ماذا يمثل بالنسبة لك .

تعمد "فورستر" ان يصمت فترة ليرى رد فعل الفنانة التي اخذت تنظر إليه في شك . قال :

- من حسن الحظ لسنا في حاجة إلى خدش التمثال .

احست "سابرينا" بعدم الراحة فغيرت من وضعها كانت تعرف ان عقل العالم كان يعمل اسرع من آلته الحاسبة . ثم هل لو لم يكن قد رتب خطة محكمة اكان من الممكن ان يبدو مثل الأسد الجائع ؟ لا .. إن لهجة المصالحة التي شابت حديثه لا تتواءم مع لمعان عيني الفهد البادي في عينيه . عندما لم يحصل عالم الحفريات على اي رد فعل قرر ان ينهي حديثه :

- سنقوم بتصويره بالاشعة .

- عفوا ؟ لست افهم .

- سنقوم بتمرير تمثالك أمام أشعة "إكس" وهكذا لن نسبب له أى ضرر .

- وكيف تنوي ان تفعل ذلك ؟ هل تنوي ان تحمله الإسعاف إلى المستشفى دون شك ؟

- هذه سذاجة منك .. ببساطة سنقوم بتصويره بالأشعة في المتحف حيث يوجد كل المعدات المطلوبة .

لم يبد على صوت "سابرينا" أي انفعال .

- كل هذا جميل ولكن تمثالي لابد أن ينقل غدا وهو الآن موجود في بيتي .

- ليست هناك مشكلة .. سننقله إلى المتحف .. هناك حارس ويمكننا ان ندخل .

- لن اجازف بهذه المخاطرة .. قد يحدث أي شيء .

- ولكن أي خطا يمكن أن يحدث ؟ ليس لديك أي سبب للعناد والرفض .

رغم نظراته العميقة المركزة على الفنانة فإنها اعترضت :

- ثم لماذا من فضلك يا سيد اركب هذه المخاطرة ؟ ثم لماذا أسعى لأن اسعدك انت والعلماء العجائز وكل منهم مجنون أكثر من الآخر .

- لانني املك شيئا تريدين الحصول عليه .

- ماذا بحق السماء تملك وارغبه ؟

- إن لك ذاكرة ضعيفة ! هل نسيت "فترينات" واجهات محلات "لويدز" ؟ ربما اظهرت بعض المرونة بهذا الشان .

- هكذا إذن الأمر !

في اللحظة التي تردد فيها صوت الفنانة علما أن مجالا للتفاهم قد

فتح أمامهما . اعترضت الفنانة في أخر محاولة :

- ولكن كيف سننقل التمثال ؟ انت تعلم انه ليس مصمما لان يوضع على أرضية السيارة .

ظهرت ابتسامة مشرقة على وجه محدثها .

- إن لدي سيارة نصف نقل أسفل المنزل ولا اتركها أبدا .. حسنا هل لايزال عندك مزيد من الاعتراضات ؟ سنذهب وستعود سيدتك العزيزة سالمة وصحيحة .

مد ذراعه وكانه يقسم قسم الكشافة وعندما لاحظ النظرة على وجه الفنانة تقع على آثار الجرح في ذراعه ضحك ضحكة عالية وقال :

- لا تقلقي . ساسهر على الا يعضك حيوان في المتحف لا أنت ولا "امرأة الماضي" .

- إن الديناصورات لا تخيفني وإنما يخيفني صاحبها .

* * *

ظلت ذكرى الرحلة إلى المتحف عالقة بذهن "سابرينا" اولا لانها اضطرت للجلوس في الجزء الخلفي من السيارة المكشوفة كي تمسك بالتمثال بين ذراعيها . وثانيا لأن السائق المخبول ظل متمسكا بالقيادة بسرعة وكانه في الجحيم رغم توسلاتها المتكررة واخيرا كان عليها أن تتحمل رؤية عيون الفضوليين التي تنظر إليها في كل مرة كان يقف فيها عند الإشارة الحمراء .

ومما زاد الأمر سوءا أن العالم لم يكف عن النظر للخلف وكانه يخشى أن تهرب منه مرافقته . لقد حاولت أن تتمرد عليه . صرخت فيه :

- إنني افضل أن تراقب الطريق بدلا من أن تتحدث إلي من فوق

www.elromancia.com

كتفك.

- استرخي فإن كل شيء سيصير على ما يرام .

مالت السيارة عند أحد المنحنيات واضطرت "سابرينا" أن تحاول أن تسند التمثال بكل قوتها وهي تصيح :

- كلمة شرف ؟

- كلمة شرف .

وقفت السيارة عند إشارة مرور حمراء . أحاط بها مجموعة من الشباب يرتدون سترات جلدية ليبدوا إعجابهم بهذه الحمولة غير العادية . صاح أحدهم :

- هاي أيتها الحسناء .. كم أود أن أكون مكان التمثال .. الا تريدين أن تجربي ؟

ضحك ضحكة متقطعة وردت عليه "سابرينا" بتكشيرة حادة بينما قال "فورستر" :

- لقد أوشكنا على الوصول .

أخيرا دخلت السيارة اللعينة إلى ساحة الانتظار بالمتحف حيث أعلن العالم :

- ها نحن وصلنا . مرحبا بالوصول !

أفلتت منها زفرة ارتياح . عندما طرق "فورستر" جرس الباب جاء حارس ليلي ليفتح الباب كي يختفي في الحال في ظلمات المتحف . تأوهت التعيسة :

- هل لابد من نقل التمثال إلى مكان بعيد ؟

- سأحضر عربة يد وساعود خلال خمس دقائق .

دون أن ينتظر ردها اختفى الرجل وسط الظلمات في الدهليز المعتم . كانت رائحة حارة غريبة تسبح في الهواء ذكرتها بفترات العمل بعد

الظهر في ورشة الكلية أثناء الدراسة . تقدمت "سابرينا" للأمام في خطوات خائفة . رأت أمامها دبا ضخما وجميع أنواع الدببيات التي كانت تنظر إليها نظرات ثابتة . كان الدب واقفا على مخالبه الخلفية ينظر إليها بعينين زجاجيتن .. لم يكن حيا بالطبع . تساءلت : ماذا حدث لـ "سابرينا ميلندي" لتجد نفسها في هذا المكان وسط الليل محاطة بهذه المخلوقات الرهيبة؟ انفتح الباب الأمامي وظهر عالم الحفريات بجوار تمثال "امرأة الماضي" وكلاهما فوق عربة "هيدروليكية" . قال :

- إلى الطريق أيتها السيدة الجميلة .

قفزت "سابرينا" في مرح إلى العربة الكهربائية وبعد رحلة طويلة وسط مخلوقات وكائنات خرافية وصلت المركبة أمام مصعد كهربي ضخم ومرتفع السقف . قاد قبطان الحمولة المركبة وأدخلها المصعد ثم ضغط على زر يشير إلى الطابق الرابع ثم جلس أخيرا في رضاء تام بجوار السيدة الحجرية وقال بغرور :

- إن المتحف ليس سيئا .. أليس كذلك ؟

- إذا كان هذا يرضيك .

- هيا .. لا تفسدي الأمور يا"سابرينا" خلال ساعة فإن تمثالك العزيز سيعود ثانية إلى مقره .

لقد ناداها مرة أخرى باسمها المجرد وهذه المرة بدا صوته ودودا وسط كبينة المصعد . قالت :

- نتمنى ذلك !

أخذ يراقب جارته في المصعد بعين منهكة :

- أتعرفين أنه لا بأس بك عندما تكفين عن مظهر التأثر الشديد والهياج .

www.elromancia.com

- الهياج ! أعتقد اننا عقدنا هدنة وليس ...

- اسمعي يا "سابرينا" انت تعرفين تماما ما أود أن أقوله . إن كل ذلك مجرد آثار خلاف جانبية شبه علمية وشبه فنية ...

- ولكن ليست هذه هي المشكلة !

توقف المصعد وبعد مناورة بارعة من العالم الذي يقود المركبة وجهها إلى مدخل دهليز طويل ثم استانف كلامه :

- حسنا جدا .. لنقل إنك مخبولة بعض الشيء وحسنة النية .

- شكرا على المجاملة .

- إنني لا أريد أن امنع نفسي عن قول ما أريده وافكر فيه . أنا رجل علم والتلميحات لا تهمني .

- معنى هذا انني بالنسبة لك مجرد وهم . أليس كذلك ؟

- انت غير واقعية يا"سابرينا" لدرجة لا تصدق .. إن الناس من نوعك غير موجودين .. واجهي الحقيقة لست من النوع البوهيمي وأنا واثق بانك تربيت وسط أسرة تمثل العصر الكلاسيكي وسط الأب والأم وفي وجود تورتة التفاح في كل يوم احد . قولي لي هل انا مخطىء ؟

كانت الابتسامة الواثقة على وجه المتحدث لا تسمح بوجود فرصة ان تهدأ اعصاب المخاطبة . اجتاحتها رغبة عارمة أن تصفع ذلك المتصنع المغرور وصاحت في ثورة :

- يسعدني ان اخبرك أيها السيد البرمائي انني ولدت في قرية "جرينتش" - وهي الحي الفني في نيويورك إذا كنت تجهل ذلك . وأمي كانت مغنية موسيقى الجاز وكان والدي يكتب روايات مغامرات للشباب . وفي المرة القادمة عندما تستعد فيها أن تعلن عن اكتشافاتك امام الجماهير انصحك ان تراجع إن كانت هذه الاكتشافات لها أساس من الصحة . ثم إنني أود ان اخبرك ...

قطع حديثها المسترسل بضحكة عالية ثم قال :

- حديث رائع يا آنسة ! لابد أن اعترف انك تدهشينني .. إنك الناتج الأصلي للحياة البوهيمية ؟

أوقف العالم العربة أمام باب ودفع ضلفته ثم ضغط على الزر الكهربائي ليضيء النور . فغرت "سابرينا" فمها وهي تتامل المنظر الذي ظهر أمامها . كانت الهياكل العظمية الضخمة تشغل حيز المكان وقد فتحت فكها الخالي من اللحم . قاد صاحب الوحوش المركبة عبر البهو وهو ينطق أسماء الحيوانات التي يمر أمامها وعندما قدم "برونتوصور" ضحك وهو ينظر إلى جرحه فوق ذراعه . همهمت "سابرينا" :

- هل انحبست ذراعك حقا في فك واحد من هذه المخلوقات؟ لقد كان من حظك الا ينتهي بك الأمر لتصبح مفرومًا .

توغلا اخيرا بالمركبة في معمل يوجد في نهاية البهو . رأت هناك هياكل عظمية يجري تركيبها وجماجم موضوعة على مائدة وأدوات من كل الأنواع معلقة على الجدران كان المكان يشبه مغارة الوحوش . ثبت "فورستر" التمثال فوق ماكينة ضخمة وتم تصويره في دقائق . صاحت "سابرينا" :

- هل تم تصويره ؟

- هل أنت آسفة لأن المشهد انتهى ؟

جلس على حافة مائدة وقد أخذ راحته وهو ينظر إلى رفيقته في مرح :

- لم يبق إلا إظهار اللوحات السلبية .

- الآن ؟

- ولم لا ؟

(٤)

- لان الساعة الثانية صباحا .. هذا هو الأمر ببساطة .

- لا تغضبي ! لقد عقدنا اتفاقا .. أتذكرين ؟

عقد "فورستر" ذراعيه فوق صدره وهو ينظر بوقاحة إلى جسم الفنانة الممشوق مما جعلها ترتجف . لقد كانت حتى هذه اللحظة تعتبر العالم من فئة رجال العلم الزاهدين . والآن وجدت صعوبة في أن تفكر فيه على هذا الأساس .

عندما أعادت فحصه عن قرب وجدت أن التجاعيد الخفيفة عند ركني عينيه لها سحر مبهج وتوحي بانه مستمتع بفكرة سحرية . وبالنسبة لشعره المشعث فكان يظهره وكانه خارج لتوه من السرير . بالطبع كانت تقاطيع وجهه لا تمثل تناسقا تاما ولكن الذكاء يشع من عينيه . ثم إن شفتيه تظهر مدى جاذبيتهما عندما يتحدث . تصاعدت الدماء إلى خدي "سابرينا" سالته وهي تحاول أن تشتت افكارها :

- هل تتمسك حقا بإظهار اللوحات الآن ؟

ابتسم العالم وكانه استطاع أن يستشف أفكارها الخاصة .

جمع اللوحات ودون أي كلمة اختفى في حجرة التحميض السوداء للمعمل .

الفصل الرابع

عندما وجدت "سابرينا" نفسها بمفردها أخذت تتفحص المكان . كان فوق مكتبه آلة كاتبة وتليفون وملفات مرتبة ترتيبا رائعا . كان غريبا أن تجد كل هذا النظام في مكتب عالم . انحنت الشابة فوق دفتر اليوميات لتقرأ : الاتصال بالدكتور "شين" في "شنغهاي" . محاضرة في الجامعة يوم الجمعة .

محلات "لويدز" الاتصال بالآنسة "ميلندي" . طلب المجموعة ...

كان طول القائمة قد اثر في الزائرة . لقد شغلت وقت العالم الثمين . ظلت سابحة مع أفكارها وهي تفحص الديناصورات في البهو الكبير . وقعت عيناها على رسم داخل فترينة عرض يقول: "سيموريان" قالت "سابرينا" للصورة في صوت مرح :

- هاي .. صباح الخير .. أتدري أن ابن عمك "روجر" وصل لتوه؟ إنه في الحجرة المجاورة مسجون في تمثال .

www.elromancia.com

- إنه ليس ابن عمه وإنما حفيده .. وربما حفيد حفيده وسنعرف ذلك عندما تجف اللوحات الشفافة .

تقدم صاحب المكان نحوها وهو يبتسم وقال :

- لدي أنباء سارة لك . مبدئيا نستطيع أن نقرضك أي شيء تطلبينه باسم "لويدز" .

- لقد كنت واثقة بذلك . لقد اكتشفت أخيرا أن مطالبي معقولة .

- على أية حال لقد أظهرت طيشا غير معقول ، أقله عندما ننتظر ردا هو الاستماع إلى الرسائل التليفونية المسجلة . ثم إن قائمتك طويلة جدا حتى تساءلت : إن كنت تطلبين ديناصورات كاملة .

- وماذا كنت سافعل بهذه التشكيلة من العظام القديمة أيمكن أن تسعد زبائن "لويدز" ؟!

دون أن تدري جرحت "سابرينا" مشاعر "فورستر" لقد كرس كل حياته ووجوده من أجل هذه العظام القديمة كما تقول . إن عدم اهتمام الشابة نحوه جرحه وألمه ومع ذلك شعرت بالألم يظهر على وجهه لقد بدا واضحا أن جمال الفتاة الأنثوي يفتنه ورغم ما يبذله من جهد فإنه لم يستطع أن يمنع نفسه أن ينظر إليها كفتاة جامعية في أول مراحل الحب . قال لها :

- هيا نعود إلى المعمل يا "سابرينا" لابد أن اللوحات جفت .

عندما وضع اللوحات في جهاز العرض ظهرت صورة على الشاشة جعلتها تكتم أنفاسها . لقد ظهر هيكل عظمي كامل داخل تمثال "امرأة الماضي" هيكل رائع عمره آلاف السنين. همست "سابرينا" وهي مبهورة وهي تذكر الرسم الذي رسمه في معملها :

- إنه "سيموريان" إنه يشبه مثيله في الصالة الكبرى .

رفع عالم الحفريات المتحجرة أحد حاجبيه وقد تأثر من قوة

ملاحظتها :

- لاباس كبداية .. لقد ظننت انك لن تلاحظي التشابه

- انت تعلم انني فنانة أجيد ملاحظة الأشياء.

مرت ملاحظتها دون تعليق منه . أخذ "فورستر" يفحص الصورة على الشاشة وهو يهمهم بكلمات غيرمفهومة . قال أخيرا وهو يفرد جسده :

- شيء لا يصدق .

سارع نحو مائدة العمل وأخذ يبحث في جنون داخل محتويات درج. سالته :

- عم تبحث ؟

- الرسم الذي رسمته في متحف "اونتاريو" إنه يمثل واحدا .. آه لقد وجدته !

مد إليها لوحة تحت مصباح صاحت "سابرينا" :

- إنها قدم .. إنها قدم .

هز العالم رأسه بحماس وقد اندفع مرة ثانية نحو مائدة العمل.

- إنها ليست بالضبط قدما .. إن هذه القدم فريدة من نوعها .

جرى نحو الشاشة وأخذ يقارن ما بين الصورة والرسم الذي كان ممسكا به باستمرار في يده وأخذ يكرر :

- غير معقول .. غير معقول على الإطلاق . اتفهمين يا "سابرينا"؟ ماذا لدينا هنا ؟

- لا أعرف على الإطلاق ولن أعارض ما ستشرحه لي .

- كل شيء موجود هناك .

- كل شيء موجود هناك ! ما الموجود هناك ؟

- كائن متحجر كامل هناك في تمثالك وقدمه تناسب القدم في

www.elromancia.com

رسمي... ياله من اكتشاف مذهل !

- ولكن لماذا هو مذهل إذن ؟ هل هو نادر جدا ؟

- نادر ؟ نادر ؟

لم يستطع أن يستمر في الحديث ولا أن يكتم سعادته وبدأ "فورستر" في القفز حول الحجرة وهو يرقص بساقيه الطويلتين رقصة الفالس .

قالت الفنانة في إلحاح :

- ولكن ما هذه القدم ؟

قفز محدثها مرة واحدة نحوها وقال في وجهها :

- إن المعجزة توجد فيها ! إننا حتى الآن لم نمتلك سوى قدم واحدة والآن أصبح معنا الحيوان كاملا .

استأنف رقصه المجنون عندما وقف مذهولا أمام نظرات "سابرينا" الحادة وهي تسأله :

- أتحاول أن تقنعني أن كشفا علميا لا يقدر بمال كامن الآن في تمثالي ؟

هز رأسه بقوة موافقا وقد لمعت عيناه من السرور :

- وأن لها صلة بذلك الشيء المسمى "سيموريان" في القاعة الكبرى ؟

دار حول نفسه وهو لايزال يرقص .

- صلة ؟ المحتمل نعم ولكن انظري إليهما الاثنين إنها الصلة التي تنقصنا ياعزيزتي "سابرينا" . إن تحت نظرنا الآن صلة عائلية تامة .

عندما اكتشف أن شرحه لم يأت بالنتيجة المرجوة حاول أن يهدأ كي يستطيع الاستمرار :

- ألا تفهمين ؟ لهذا السبب سألتك إن كان الحجر الخاص بتمثالك قد نقل من "أونتاريو" في كندا. إن القدم الموجودة في الرسم عثر عليها هناك .. إنني أجهل كيف وصل مخلوقك من جبال "أدرينوداك" ولكن

الأمر لايهم . إن النموذج الأول من هذا النوع الذي وجد سليما هو الموجود الآن داخل تمثالك .عندما نطق كلمة سليما عاد النشاط المحموم إليه مرة أخرى وقال في حماس:

- سليم !

بدأ يرقص رقصة ايرلندية وهو يغني بصوت يصم الآذان أغنية على لحن قديم :

- أوه .. عظمة القدم اليسرى ستضم إلى الساق اليسرى .. وعظمة الساق اليسرى ستضم إلى الفخذ .

وفي قمة سعادته ألقى في الهواء لوحة رسم القدم الشهيرة التي استقرت فوق جمجمته وجيده أمام ضحك الفتاة الهستيري .

فجأة توقف "فورستر" ليتامل ضيفته وعينيها المتلألئتين وضحكها الصافي مثل شلالات الماء النقي وتقاطيعها الرقيقة الناعمة .. لقد أشاعت "سابرينا" المرح في الجو كما أظهر الثوب الأزرق والأبيض على شكل القفطان استدارة جسدها الرائعة .. لقد بدت كملاك هبط من السماء إلى الأرض ليشيع البهجة بين البشر بضحكاته الصافية .

صاح فيها:

- إنك حقا ساحرة !

أحست الفتاة تحت عيني مرافقها الحادتين وكأنها منومة مغناطيسيا . وقفت في مكانها بلا حركة بينما المسافة بينهما تضيق.. وضع يديه فوق كتفيها وانحنى عليها ليقبلها قبلة سعيدة. في الحال أبعد "فورستر" رأسه . أخذت تتامل وجهه بحثا عما يمكن أن تفهمه وسألته :

- لماذا هذه القبلة ؟

قال وقد بدا عليه الارتباك :

www.elromancia.com

- إنها اختبار علمي !

لم يكن للإجابة معنى رغم أن العمل نفسه واضح لم يسبق لـ"سابرينا" أن تلقت قبلة رائعة كهذه ومحملة بالوعود وتساءلت: كيف اكتفى بهذا القليل ؟ مطت جسدها وهي تقف على أطراف أصابع قدميها وجذبت رأسه نحوها وقد اجتاحها سحر رائع. همس "فورستر" بعد خمس دقائق .

- جاء دوري كي أسألك لماذا هذه القبلة ؟

- فضول فني ؟

اجتاحتهما عاطفة عارمة .. قال لها :

- إنني لا أستطيع أن أصدق نفسي .. إنه أجمل يوم في حياتي!

- حقا ؟

- حقا . لقد تعرفت على امرأة فاتنة وأكثر من ذلك اكتشفت ما بعد أفضل اكتشافاتي الماضية والمقبلة .

لم تكن "سابرينا" مستعدة لهذه الإجابة . على أية حال لقد كانت تنتظر شيئا آخر من ذلك الرجل غير مسألة الاكتشاف العلمي . همست في أذنه :

- انس إذن حفرياتك .. إن المزاد سيكون غداً ..

أكمل العبارة بدلا منها :

- وابن العم "روجر" سيجد سقفا يستظل به ..

فتحت عينيها على اتساعهما في قلق :

- ماذا تريد أن تقول ؟

نظر إليها في دهشة :

- أتظنين حقا أنني سأجعل مثل هذا الاكتشاف يفلت من بين يدي ؟

- أعتقد أن القضية قد أقفلت .. على أية حال لقد عثرت على ماكنت

تبحث عنه .. أليس كذلك ؟

- طبعا والآن لابد من دراسة ذلك المخلوق المتحجر بمنتهى الدقة ، ومن أجل ذلك لابد من كشط الحجر .

قفزت للخلف مبتعدة عنه وهي تصيح :

- كشط الحجر ؟ لابد أنك تمزح.

- اسمعي يا "سابرينا" سأشتري تمثالك إذا كان هذا ما ترغبينه.لابد أن أحصل عليه بأي ثمن لابد من إخراج المخلوق المتحجر من داخله .

- كي تفعل هذا لابد أن تمر على جثتي !

- سنقوم بعمل نسخة من تمثالك هنا .. اتفقنا ! وستكون مجانية وبالمادة التي تريدينها سواء من البرونز أو الخزف أو حتى من الذهب إذا أردت .

- أنت أكثر الناس مللا رأيته في حياتي ! لا أريد نسخة .. إنها قطعة فنية ولابد أن تظل النسخة الفريدة والأصلية .. ثم لقد فاض بي الكيل من هذه المناقشة .

قبل أن يتمكن "فورستر" من منعها هربت منه وركبت المركبة الكهربية وأخذت تضغط على الأزرار بطريقة عشوائية حتى نجحت في السير بها وهي تدهس في طريقها بعض الأوراق المتناثرة على الأرض واتجهت نحو "امرأة الماضي" . صاح العالم وهو ينطلق في مطاردتها :

- ماذا تفعلين يا "سابرينا" ؟

- ساخذ تمثالي . لقد أضعنا ما يكفي من وقت هنا أنا وهو . أنا أسفة لأنني انتزعت منك لعبتك الجديدة ولكن قبل كل شيء فإنه ملكي .

أوقفت المركبة بحركة شديدة أمام التمثال . أراد "فورستر" أن يمسك بها من ذراعها وفي حركته اصطدم بالحجر الذي بدأ يهتز بشدة . صاحت "سابرينا" :

www.elromancia.com

- براڤو! بسرعة افعل شيئا .

أحاط تمثال "امراة الماضي" بذراعيه القويتين وأعاده إلى وضعه الأول . أخذت حبات العرق تسيل على جبينه وأفلتت منه صرخة :

- آه ! ظهري !

قالت "سابرينا" وهي تمد يدها لمساعدة رفيقها :

- آه .. لا ..

كان العالم منحنيا وابعدها بيده .

- لا تلمسيني .. لقد فعلت بي ما يكفي هذا اليوم إن كل مرة تلمسيني فيها تحدث كارثة !

- ولكني أريد أن أساعدك .. إن لي صديقة علمتني بعض تمرينات التدليك اليابانية و..

- لا .. لا اريد ذلك ...

ظهرت تكشيرة ألم رهيب على وجه "كولن" ومنعته من الاستمرار في الحديث .

وضعت الفتاة يديها على وسط مرافقها وقالت له :

- تنفس بعمق .

- إنني لا أستطيع .

- تنفس !

بدأت تدلك المنطقة المؤلمة وشيئا فشيئا نجحت أصابعها الساحرة في مهمتها . بدأ المسكين يسترخي قليلا قليلا وانتهى الأمر بأن نهض وابتسامة الارتياح على شفتيه وقال :

- لقد تحسنت .. تحسنت تماما .. لابد أن صديقتك الحجرية أرادت الانتقام مني .

تركت المعالجة يديها تسقطان بجانبها ثم ساد صمت قطعته

"سابرينا" أخيرا :

- أعتقد أنه لم يعد أمامنا سوى الرحيل .

-حسنا .. ساصحبك .

تمت رحلة العودة بمعجزة حيث لم يحدث اي مفاجات أو ماس وما إن استقر التمثال في المرسم حتى أطلقت النحاتة صيحة ارتياح :

- إنها الرابعة صباحا .. سأذهب للنوم .

عندما رأت نظرة التهكم في عيني مرافقها أضافت :

- إنني أوشك على الموت من التعب شكرا لاصطحابك .

همس "فورستر" :

- شكرا .. بفضلك عشت أكبر تجربة مهمة في حياتي ربّت تمثال "امراة الماضي" في شغف .

إلى اللقاء أيتها العجوز وعندما أقول العجوز فإنني لا أبالغ .

استدار وسيطر بطوله على الغرفة وهو يقول :

- "سابرينا" ...

عندما سمعته ينادي اسمها أحست برعدة تسري في كل جسدها . أخذت ترتجف من الخوف والإثارة وأحست أنه يرغبها بكل كيانه .

يالله من جنون .. ما الذي فعله بي هذا الرجل ؟

- إنك تعذبينني يا"سابرينا" أنت مثل الفراشة التي لا أستطيع الإمساك بها . أنت ساحرة .

أحست بالحمى واستسلمت لقبلاته التي لم يسبق لها أن نالت مثلها .

فجأة عادت تكشيرة الألم على وجهه فصاح :

- لا .. ليس مرة ثانية .

عادت "سابرينا" مرة أخرى إلى وظيفة الممرضة لتدلك مرة ثانية

www.elromancia.com

منطقة الألم بالطريقة اليابانية .

ولكن هذه المرة لم يحس "كولن" بأي راحة . قالت :

- ليس هناك سوى حل واحد .. أن تنام الليلة على طريقة "السيموريان" .

ذهبت إلى الدولاب لتبحث عن شيء يشبه ربطة ضخمة من التيل وفردتها فوق الأرضية ولكنه قال :

- إنني أفضل سريرا حقيقيا إذا لم يسبب لك ذلك إزعاجا !

فحص المكان ثم قطب جبينه وهو يسأل :

- أين سريرك يا "سابرينا" ؟

أشارت بأصبعها إلى الملاءة التيل المفرودة على الأرضية وهي تقول:

- إنها أمامك عند قدميك .. إن اليابانيين ينامون هكذا من قرون جرب ذلك وسترى .

- لست في حالة مزاجية تسمح لي بإجراء التجارب كل ما أريده هو مرتبة حقيقية .

-هذه مرتبة وأؤكد لك أنك ستحس بالتحسن .

قال في عناد :

- لا أريدها .

- حسنا .. ساتركك لتفكر بينما أعد لك قدح قهوة .

ما إن أصبحت "سابرينا" بمفردها في المطبخ حتى انشغلت بأفكارها تساءلت كيف استطاعت أن تدع نفسها تقترب بسرعة من شخص مختلف عنها كلية ؟ وما الصواب في أن تفكر في شخص قد يكون ذكيا دون شك ولكنه ضيق الفكر يرفض التفكير في استخدام طريقة صحية يابانية للنوم ؟

وكيف يكون وهو الشخص غريب الأطوار أن يكون منغلقا نحو كل ما

يخص الفن ؟ إنه كتلة من المتناقضات .. هذا هو "فورستركولن" ! وهو في نفس الوقت أكثر المخلوقات سحرا قابلته في حياتها .

أمسكت "سابرينا" بالصينية ودفعت الباب .. ووقفت في الحال أمام المشهد الذي كان ينتظرها في المرسم رأت هناك فوق السرير الياباني المسمى "فوتون" أكثر الرجال سحرا في العالم وقد تكوم فوقه وهو نائم كالطفل السعيد وابتسامة غامضة تتلاعب على شفتيه .

www.elromancia.com

الفصل الخامس

فتح "كولن" عينيه وأخذ يتامل اللوحة التي تمثل باقة من الورد وتساءل : أين هو ؟ استدار وشاهد وجه "سابرينا" النائم . كانت نائمة على "فوتون" بجواره وهي ترتدي قفطانها الأبيض في أزرق . جلس ليكتشف أن ظهره لم يعد يؤلمه وفي الحقيقة من سنوات عدة لم يكن يشعر بالاسترخاء كما يشعر الآن . رفع ذراعيه فوق رأسه في تلذذ وكتم ضحكة سعيدة .

يالها من شخصية فريدة تلك الفنانة "سابرينا" ، وفي نفس الوقت كم هو قوي تاثيرها عليه !

لقد أيقظت داخله فيضا من العواطف بجمالها الرقيق ولكن كيف بدت عنيدة إلى هذه الدرجة مع ما تتمتع به من ذكاء ؟ في الحقيقة هي تمثل مجموعة من المتناقضات المذهلة . ثم إنه اكتشف أي نوع من النساء الفاتنات تختفي تحت مظهرها الخادع .

كانت "سابرينا" لاتزال مستغرقة في النوم وأخذ العالم يسير بخطوات محسوبة حتى مكتبها حيث كتب على قطعة من الورق: "ساتصل بك" بعدها رحل .

* * *

تساءلت "سابرينا" وهي لا تفهم الأمر على الإطلاق كيف يمكن أن تقع في حب مثل هذا الكائن المتحجر الغبي ؟

بدأت الجماهير تفد على صالة المزاد . كانت الفنانة عصبية لأقصى حد ووجدت ملجأها بجوار "جيف" صديقها الدائم . انتظرا معا أن يبدأ المزاد . قدمت لهما مضيفة ورقة بالبرنامج تاوهت الشابة :

- أوه ! لا .. إنني الأخيرة في القائمة وسيكون الناس قد أنفقوا كل نقودهم عندما يحين علي الدور .

- ليست هناك أي مخاطرة .. لا تنسي أن هذا المزاد اقيم على أساس الحضور بالدعوات الخاصة ولا شك انني أقل الحاضرين ثراء .

قطع "أرثر ويلنجتون" الحديث بينهما وبعد أن قدم التشجيع المعتاد لربيبته صمت قليلا ثم اكمل :

- أعرف أن عقلك في مكان آخر يا "سابرينا" ومع ذلك فإن الأمر لا يحتمل التأجيل . لقد اتصل متحف التاريخ الطبيعي حالا ويجب أن تمري عليه بعد ظهر اليوم لتوقعي بعض الأوراق . لقد وافقوا على إقراضنا كل ما طلبته .

- رائع .. سأذهب هناك في نهاية النهار .

راقبت الفنانة نائب المدير وهو يبتعد عندما وقعت عيناها على وجه غير متوقع وجوده " كولن فورستر" كان مرتديا بدلة رسمية رمادية فاخرة وقميصا حريريا أبيض ورابطة عنق فاخرة وكان يبدو كرجل

أعمال . ورغم ملابسه فقد بدا كمغامر أنيق . دون تردد جاء ليجلس على المقعد المجاور لـ"سابرينا" وبعد أن تبادل تحية سريعة مع "جيف" مال على أذن جارته ليهمس بطريقة توحي بالتامر :

- لقد حضرت فور أن استطعت .. لقد فحصت صور اللوحات الفوتوغرافية . التي التقطناها ...

- كيف دخلت إلى هنا ؟ إنه مزاد خاص .

أخرج من حافظة نقوده تصريحا من متحف التاريخ الطبيعي وقال :

- بهذا التصريح لا يستطيع أحد أن يعرف في أي متحف أعمل

- لماذا حضرت ؟

- بسبب تمثالك . إن اللوحات أظهرت ...

- إنني لا أرغب أن أسمع أي شيء حول هذا الموضوع . واعتبارا من غد يمكنك أن تناقش كل شيء مع المالك الجديد للتمثال .

- بالضبط .. إن من سيحصل على التمثال سيتلقى صدمة عندما يعلم أن تمثالك عرضة للتفتيت .

كانت الصالة مزدحمة بالناس وبسبب نقص المقاعد اضطر بعض الحاضرين إلى الوقوف بينما سارع مصورو الصحف بالالتفاف حول القطع الفنية ، سطع ضوء كشاف تصوير في وجه "سابرينا" فابتسمت أمام العدسة وبعد ذلك عاد وجهها ليرتسم عليه الغضب الشديد وهي توجه الحديث إلى جارها العالم .

- إن تمثالي سليم يا "كولن" ولن يلاحظ أي شخص تلك البروزات الغبية الرقيقة التي اكتشفتها . من فضلك لا تحدثني عن ذلك مرة أخرى .

كان العالم على وشك أن يلح في الحديث عندما تقدم الدلال نحو المنصة . ساد صمت ورهبة في القاعة وبعد تجربة الميكروفون بدأ

المزاد .

عرضت أولا لوحة زيتية تمثل علبة فواكه محفوظة وأعلن الدلال أول سعر بعشرة آلاف فرنك ثم بدأ يقول : عشرون ألف فرنك عن يميني ، خمسة وعشرون ألف فرنك عن يساري ثلاثون ألف ، خمسة وثلاثون أول مرة خمسة وثلاثون ثاني مرة . رسا المزاد . طرق سطح المائدة بالمطرقة الخشبية المطعمة بالعاج معلنا نهاية المزاد على اللوحة .

بحثت "سابرينا" بعينيها عن المشتري ولكن أحدا لم ينهض . همست في أذن "جيف" :

- لست أفهم .. من اشترى هذه اللوحة ؟

- شخص غامض . غالبا ما يفضل الناس أنهم اشتروا شيئا . وهم يتفاهمون بالإشارات المتفق عليها مسبقا مع الدلال ، ففي هذه الحالة على سبيل المثال لقد حصلت على اللوحة دون أن تلاحظي .

استؤنف المزاد وتردد في القاعة إعلان الأرقام المتصاعدة وعندما أحضروا تمثالها فوق المنصة نظرت إليه "سابرينا" بفخر مقرون بالأسف لقد انطوت صفحة من حياتها . ومن الغد عليها أن تبدأ في صنع قطعة فنية أخرى . ومهما كان ثمن هذه القطعة فإنها ستقبله بطريقة فلسفية .

أعلن الدلال "تمثال امرأة الماضي" للمثالة "سابرينا ميلندي" وهذا التمثال كان موضوع مقال بقلم "ماكسويل سنكلير" في مجلة "عالم الفن" نصها إنه إبداع سام للمرأة قدمته بقوة مذهلة الفنانة التي دخلت عالم النحت حديثا ... وسنبدأ المزاد بعشرين ألف فرنك .. من يزيد ؟

ربت "جيف" على كتف "سابرينا" مشجعا . قال الدلال :

- اثنان وعشرون عن يساري .. أربعة وعشرون . سبعة وعشرون في نهاية القاعة .

بدأ المزايدون يتنافسون ويتصاعد الثمن ما بين لحظة واخرى .

طارت كل الأفكار من ذهن "سابرينا" واخذت تستمع وهي مذهولة:

- خمسة وثلاثون الف .. لقد قلت خمسة وثلاثون . من يزيد الثمن؟

ساد الصمت أطول مما هو متوقع . اغلقت الفنانة عينيها وامسكت باليد المجاورة لها وهي تلهث :

- خمسة وثلاثون أول مرة .. ثاني مرة .

- أربعون !

تردد صوت "أرثر ويلنجتون" في القاعة وسرى الهمس بين الجمهور.

رفعت "سابرينا" رموشها وقد استعادت انفاسها ورفعت عينيها على اليد التي امسكت بها بكل قوتها . لم تكن يد "جيف" كما توقعت وإنما كانت تخص "كولن فورستر" دهشت الفنانة ورفعت راسها نحو جارها الذي وجه إليها ابتسامة حارة ومشجعة حتى اضطرت لأن تبتسم له بدورها . تشابكت يديهما وهما يتابعان المزاد . استانف الدلال المزايدة:

- أربعون الف .. هل هناك من يعرض خمسة واربعين . نعم خمسة واربعون .. خمسون .. اقول خمسون .

وجه من فوق المنصة نظرة متسائلة نحو "أرثر ويلنجتون" وهويقول:

- هل هناك من يقول خمسة وخمسون الفا ؟

هز "ويلنجتون" راسه بطريقة سرية . قال الدلال :

- خمسة وخمسون .. خمسة وستون .. خمسة وسبعون .

لهثت "سابرينا" وهي تصيح :

- هذا ليس معقولا .. إنه ضعف ما قدرته .

صاح الصوت عبر الميكرفون :

- ثمانون الف .. أعلى سعر لقطعة في هذا المزاد .

تبع ذلك صمت شديد وقد سرت الرجفة بين الحاضرين . أوشكت مطرقة العاج أن تنزل على المائدة عندما صاح "ويلنجتون"

- تسعون الفا .

كرر الدلال :

- تسعون الف فرنك .. مائة الف فرنك .. اكرر مائة الف فرنك .

خرجت "سابرينا" عن شعورها وهمست لـ"جيف":

- ولكن من المزايد الآخر ؟

ابتسم "جيف" واشار باصبعه نحو "كولن" . دارت الفنانة حول نفسها في ذهول . رات جارها يرفع اصبعه وقد ركز انظاره على الدلال.

أعلن صوت الدلال من فوق المنصة :

- مائة الف فرنك .

- انت مجنون يا "كولن" كيف تتجرأ ؟

ظلت انظار العالم على المنصة وهو يقول لها :

- ولم لا ؟ لقد كنت دائما اريد أن امتلك إحدى إبداعات "ميلندي"

تردد صوت "ويلنجتون" :

- مائة وعشرون الف فرنك .

رفع "كولن" اصبعه مرة ثانية :

- مائة وثلاثون الفا .

تبع ذلك صمت مشحون بالتوتر . انتهز المزايد هذه الفرصة كي ينحني على جارته الفنانة وقال :

- صدقي أولا تصدقي .. إنك ستفوزين بكل البهجة والسرور لو اشتريت تمثالك .

www.elromancia.com

أحست الفنانة بانها تختنق غضبا وعندما استردت انفاسها وصلت المزايدة إلى مائة واربعين الفا .

قالت لـ "جيف" :

- افعل شيئا .. يجب أن توقفه .

تردد صوت "ويلنجتون" :

- مائة وخمسون الفا .

همس "كولن" اوه .. صه . ثم بعد ثانية صاح :

- مائة وسبعون الفا وهذا هو الثمن النهائي .

لم يتكلم أحد خلال دقيقة كاملة حتى الدلال ظل فاغرا فمه بعدها سلك حلقه كي يوجه الحديث إلى "ويلنجتون" :

- ماذا قررت يا سيدي ؟

نهض نائب الرئيس وانحنى نحو منافسه وقال :

- مبروك يا سيدي .. لقد فزت به .

- مائة وسبعون الفا . أول مرة .. مائة وسبعون الفا ثانى مرة .. رسا المزاد .

طرقت المطرقة العاج سطح المائدة وانطلق التصفيق الحاد يتردد في كل مكان تصحبه ومضات كشافات التصوير . وسارع الصحفيون وبيدهم دفاتر المذكرات نحوها وخلال دقيقتين وجدت الفنانة نفسها محاطة بجمهور يمطرها بالأسئلة . لاحظ "كولن" حرجها فوضع يده على كتفها وجذبها نحوه في حركة حماية . لا شك أن الفنان يود في تلك اللحظة أن يكون بجوار مشتري عمله الفني . استسلمت له وهي نصف باكية ونصف ضاحكة . قالت سيدة ترتدي تايرا له ياقة من الفرو :

- أنا "جلوريا جوهانسون" من مجلة "الفن العالمي" هل صحيح يا

آنسة أنك لم ترغبي في التنازل عن أعمالك حتى هذه اللحظة ؟

كانت "سابرينا" مشدوهة ولا تحس إلا بالذراع التي تسندها وظلت تنظر للمحررة في بلاهة .

اصرت المرأة :

- هل سبق أن بعت إحدى لوحاتك الزيتية ؟

رن صوت "جيف" :

- طبعا .. وقد اشتريت انا نفسي ثلاث لوحات لمناظر طبيعية من رسم الفنانة الآنسة "ميلندي"

- هل كنت تعتقدين أن تمثال "امراة الماضي" يساوي حقا مائة وسبعين الف فرنك التي بيع بها ؟

كان السؤال طائشا وغير مناسب ولكن كان لابد أن يطرحه أحد الصحفيين . كانت "سابرينا" قلقة ومرتبكة وهي تبحث عن رد بينما هز "جيف" كتفه بطريقة غامضة وقال :

- وهل هناك من يقول العكس ؟ لا يوجد .

حرر "جيف" صديقته بحركة مسيطرة من الذراعين اللتين كانتا تحيطان بها وابعدها عن الزحام .

همهمت "سابرينا" :

- ماذا يحدث لي يا "جيف" ؟ وكيف استطيع أن اتوقع أن يحدث كل هذا ؟ إنني اشعر وكانني لصة ...

لم يكن "جيف" يستمع إليها . أخرج دفتر شيكات من جيبه واخذ يكتب بسرعة بعض الأرقام فوق الشيك الأول . اعلن لها وهو يمد لها الشيك :

- ساحضر غدا لآخذ اللوحات التي اشتريتها وفي نفس الوقت انصحك ان تعدي قائمة باعمالك . لدي شعورك بانك ستحتاجين

www.elromancia.com

إليها.. أخيرا أستطيع أن استلك أعمال "ميلندي" ثلاثة بالضبط .

اتسعت عينا "سابرينا" من الدهشة وهي تنظر للشيك :

- مائة وخمسون الف فرنك ! .. انت مجنون !

- اتذكرين الثلاث لوحات التي أردت أن تعطيها لي وانا رفضت ؟ إنها ملكي الآن .

طبع قبلة سريعة على خد "سابرينا" ثم اختفى وسط الزحام . تزاحم جمهور من اشخاص لا تعرفهم حولها مرة اخرى . قالت إحدى السيدات التي تتشح بوشاح متعدد الألوان :

- أرجو أن تتناولي طعام الغداء معي الأسبوع القادم وهاهي بطاقتي . إن صالة عرضي معروفة جدا .

قال رجل لم تره الفنانة في حياتها من قبل :

- لقد كنت دائما من المعجبين بك .

قال شخص آخر :

- إنني أنظم دائما غداء للفنانين في فندق "والدورف" واصر على أن تكوني ضمن المدعوين .

لم تكن التعيسة "سابرينا" قادرة على فهم كلمة وهي تحاول أن تركز.. كل شيء يجري بسرعة ، نقطة واحدة برزت امام ذهنها وهي أن وجودها سينقلب رأسا على عقب ابتداء من هذه اللحظة . تساءلت : هل تستطيع أن تتحمل هذا التغيير ؟

أعاد صوت "أرثر ويلنجتون" الهادئ الفنانة ثانية إلى الأرض :

- "سابرينا" ! انا فخور بك . ومن ناحيتي انا اتعس الرجال ليس فقط لانني لم أحصل على عملك الفني الرائع وإنما ايضا لانني فقدت أعظم مبدعة فترينات على وجه الأرض .

- مبدعة فترينات ؟ آه نعم . محلات "لويدز" لا تقلق .. إن بيننا

اتفاقا وساحترمه وعندما اتمكن من الهرب سأذهب إلى المتحف لأوقع على المستندات .

- رائع ! عندما نصبح أكثر هدوءا أحب أن اتحدث معك عن لوحة "الطبيعة الميتة" المعلقة فوق مكتبك انا واثق باننا سنصل إلى اتفاق .. منذ أن رأيتها وانا أرغب في الحصول عليها .

بدأت جماهير الصحفيين والفضوليين تتفرق . انتهزت "سابرينا" لحظة هدوء كي تلجأ إلى مامن خلف جدار . كان بجوارها نافذة تشرف على الشارع . القت نظرة عبر لوحات الزجاج فرأت "امراة الماضي" وقد أخذ العمال في تحميلها فوق شاحنة .

تصاعدت الدموع رغما عنها إلى عينيها . هاهو عملها الذي انشغلت بإعداده في حب ! إنه يشبه قطعة أثاث عادية يقوم العمال بنقلها ضمن الأثاث .

آه فقط لو نقلت عند أحد ممن يقدرون الفن ! ولكن لا .. إن تمثالها العزيز سيتعرض للخدش وربما للتحطيم بواسطة رجال عميان لا يحسون بمقدار ما يمثله من قيمة .

كتمت الرعدة التي صعدت إلى حلقها واتجهت وهي تحس بالتعاسة نحو باب الخروج .

كان "كولن" منهمكا في النقاش مع أحد الصحفيين ثم وقعت عيناه الحادتان على وجه الفنانة الفاتن كان وجهه يريد أن يقول : "لا .. لن أحطم أبدا تمثالك . كيف أستطيع الآن أن افعل ذلك وانا اعلم كم يمثل لديك من قيمة "!

ظل يتاملها وجسده مشدود ومتوتر ومع ذلك استمرت "سابرينا" في طريقها دون أن تلتفت إليه . ترك "فورستر" الصحفي في مكانه وأسرع خلفها . رأت "سابرينا" بركن عينيها اقتراب الشخص الذي سبب آلامها

وتعاستها . استولى عليها الخوف . إن الحديث معه شيء لا تستطيع تحمله والاكثر من ذلك انها احست بانها مجروحة في كرامتها وفي اعماقها لدرجة انها لا تستطيع ان تعترف بذلك سارعت نحو عتبة الباب ولحسن الحظ كان المصعد موجودا امام الطابق . بعد ان القت بنفسها داخله ضغطت على زر الدور الارضي . انغلق الباب في اللحظة التي ظهر فيها "كولن" في الدهليز . هبط المصعد بينما اطلقت الراكبة زفرة ارتياح .

عندما وصل "كولن" عند باب المصعد كف في الحال عن الجري . مادامت صاحبته تهرب منه عليه أن يحترم رغبتها في الانفراد بنفسها. على أية حال عليه ان ينتظر قليلا قبل ان يتحدث معها . كان يتخيل الوجه الفاتن امامه عندما عاد للصحفي الذي قال بصوت متعب :

- اكرر سؤالي .. لماذا كنت ترغب بشدة في الحصول على "امراة الماضي" ؟ هل بسبب الغرابة التي يوحي بها التمثال ؟

كان "فورستر" يتساءل في نفسه : اين ذهبت إذن "سابرينا" ؟ في اي مكان ستخفي المها ؟ ثم قال :

- نعم ، نعم هذا هو .. إنه شعور بالغرابة والجمال الذي لم يسبق التعبير عنه .. خلاصته المراة ..

سجل الصحفي كلماته في المفكرة .

- إنها ملاك جاء من عالم آخر وروح حرة ...

- بالنسبة لك إذن لابد ان لك نظرة غير عادية للمراة ؟

- غير عادية ؟

أطلق العالم ضحكة مرحة .

- انت تقصد شيئا فريدا ! في الحقيقة إنه الامر الاكثر روعة الذي

حدث في حياتي منذ ... أن حطم "جويندولين" "كليفلاند". توقف الصحفي عن الكتابة ورفع حاجبيه في دهشة . ماذا تعني هذه الملاحظة الغريبة ؟ ولكن الوقت كان قد فات لطلب الإيضاح فقد استدار محدثه على عقبيه .

* * *

خلال حوالي ساعتين تسكعت "سابرينا" في الشوارع كالمخدرة. ودون إرادتها قادتها قدماها إلى امام متحف التاريخ الطبيعي . شعرت بالرعب عندما تذكرت انها اوشكت ان تنسى وعدها لـ"آرثر ويلنجتون" شدت قامتها وضغطت على زر الجرس . نفس الباب الذي ادخلها منه "كولن" إلى المبنى من ساعات قليلة .

كان هناك رجل ضئيل يرتدي نظارة طبية في انتظارها في مستودع. قال لها شارحا :

- إن الطرود معدة لإرسالها ويجب أن تراجعي محتوياتها وإذا وجدتها مطابقة فما عليك إلا ان توقعي على الإيصالات .

نظرا للحالة المعنوية لـ"سابرينا" فإن هذا العمل يناسبها فهو مهدئ وروتيني ولا يحتاج إلى تركيز كبير في التفكير . خلال ساعة اخذت تتجول بين الطرود وتفحصها واحدا بعد الآخر .

اعتقدت انها انتهت من العمل عندما استرعى انتباهها صندوق في مكان منعزل عن باقي الطرود ، كان ارتفاعه حوالي مترين وكان به فتحات تكشف عما بداخله . لم تكن "سابرينا" قد رات هذا الصندوق في اي مكان في زيارتها الأولى . مالت على خشب الصندوق حيث رات من فتحاته امامها اسفل ظهر تمثال "امراة الماضي" وتعرفت عليها من نوعية الحجر . لا شك أن الحمالين احضروه للمتحف من صالة المزادات .

القت الفتاة نظرة حذرة حولها وقد خفضت رأسها. كان الرجل ذو النظارة الطبية منهمكا في التطلع إلى أوراقه ولم تشاهد أحدا غيره .

بحركة سريعة اخذت بطاقة من التي تلصق على الطرود وكتبت أن هذا الطرد يسلم لمحال "لويدز" ولصقتها على الصندوق .

بعد عشر دقائق وقعت أوراق التامين وبذلك يمكن أن تتم رحلة بعد أن أتمت مهمتا .

تظاهرت مندوبة محال "لويدز" بعدم الاهتمام وهي تنظر إلى الرجال المكلفين بتحميل الشاحنة وعندما وضعوا تمثال "امراة الماضي" في السيارة كتمت المثالة صيحة انتصار : لقد قابلت فرصة لم تكن تتوقعها وقد انتهزتها .

الفصل السادس

كانت فوق باب المتحف لافتة ضخمة تعلن عن معرض عن أصل الإنسان . قرات "سابرينا" بصوت عال متسائلة :

- ما الإنسان الأول ؟

تردد صوت خلفها بمرح :

- أنا الإنسان الأول .. وانت كذلك في العصور السحيقة .

دارت حول نفسها ووجدت نفسها وجها لوجه مع "كولن" سالته:

- ماذا تفعل هنا ؟ هل تبعتني ؟

- لا على الإطلاق ! وإذا كنت نسيت فإنني اعمل هنا

- على أية حال . إنني راحلة .. لقد استهلكني هذا النهار .

قبل أن تتمكن من أن تخطو خطوة امسكت يد من حديد بذراعها :

- انتظري .. لا تذهبي لانني اريد الحديث معك .

- ليس بيننا ما يقال .

www.elromancia.com

- بالتاكيد هناك ما يقال . إنني ادعوك للعشاء .

- اتركني .. إنك لن تنجح في شيء باستخدام القوة .

خفف قبضته ثم اطلق ضحكة مرحة .

- اسمعي .. يجب ان تكوني عاقلة . لابد ان نتحدث . ثم إنه ليس لدي اي رغبة في العمل الليلة وإذا وافقت فساخترع عذرا مقبولا كيلا أعود إلى المكتب .

كانت عبارته تستحق التفكير . لو ان العالم وضع قدمه داخل المتحف فإنه قد يسارع نحو التمثال الذي حصل عليه . وعندما يكتشف اختفاءه فلن يجد صعوبة في معرفة من قام بذلك وماذا حدث ومن الافضل ان تؤخر إلى اقصى حد اكتشاف عملية السرقة .

- حسنا جدا . مادمت تصر فإنني اوافق على العشاء معك .

- مادمت إنسانا اول يتحدث مع إنسانة اولى . اعدك انك لن تندمي على قبول دعوتي . هيا بنا .

مرت سيارة اجرة فناداها "كولن" ودخلا فيها بعد ان أعطى السائق العنوان سالته "سابرينا" :

- إلى اين نحن ذاهبان ؟

- سنمر على منزلي إذا كان هذا لايضايقك ولن أستغرق خمس دقائق وبعدها نذهب إلى المطعم . إنني اعرف واحدا ممتازا . تصورت الفنانة ان العالم لا يمكن ان يسكن إلا في بيت يشبه الثكنة العسكرية ؛ بيت تسوده البرودة لا لون له وعملي لاقصى حد ،ولكنها كانت مخدوعة لابد انه كان يعيش في رفاهية في هذا الصالون الفسيح المؤثث بفراش فاخر وعلى ارتفاع الجدار ركبت ارفف محملة بالكتب بينما اشاعت النباتات والزهور جوا من المرح . وجدت في احد الأركان مكتبا واسعا محملا بالأوراق وكان صاحبه دائما مشغول بمشروع

جديد . صاحت الزائرة :

- إنني اظن إنني في مكتبة عامة . هل قرات حقا كل هذه الكتب؟

- تقريبا .. لماذا ؟

لم تجب "سابرينا" لانشغالها بقراءة عناوين الكتب . كانت معظمها كتبا علمية ولكن كانت هناك روايات كلاسيكية وحديثة ومجموعها يوحي بحياة مشغولة ومليئة بالحرارة . وقعت عينا الفنانة على صف من الكتب اغلفته ملونة وسالته في تهكم :

- "جزيرة الكنز".. هل تقرا دائما روايات المغامرات الخاصة بالشباب؟

- إنه بفضل هذه الروايات اهتممت بالعلم .. اسمعيني يا"سابرينا".

وضع يده على كتفها فقالت له بوجه عابس :

- إن الوقت تاخر .. لقد انتهى كل شيء بيننا .

- لماذا ؟ لقد حصلت على النجاح الذي كنت تنتظرينه .

في الحال ظهرت كراهية الفنانة على السطح :

- الهذا تسمي ما حدث نجاحا ؟ لقد انهيت في لحظات عمل شهور عديدة .. هذا هو ما فعلت .

- ليس هذا حقيقيا . لقد رفعت قيمته إلى ثمن لم تحلمي به .

- ولكن ليس هذا بالسبب الحقيقي . لقد اشترت لجنة علمية ذلك العمل الفني دون ان تتاثر .

- وماذا في ذلك ؟ نحن الاثنين فقط نعلم السبب في رغبتي في الحصول على التمثال .

مد "كولن" ذراعه فتراجعت "سابرينا" مسافة طويلة حتى ارفف الكتب. وصاحت والدموع في عينيها :

- ولكنك ستحطمه .. أجمل عمل ابتدعته . إنه سيختفي للأبد !

لم تعد قادرة على التغلب على المها واحست بدموعها تسيل على خديها . لم يتاثر مرافقها وإنما زاد وجهه صرامة :

- اسمعي يا "سابرينا" لست وحشا على عكس ماتظنين . اقترح عليك اتفاقا .

- اي نوع من الاتفاق ؟

- لن افعل شيئا بالتمثال سبق ان فعلته انت بشرطين .

- ماذا تريد أن تطلبه مني ايضا ؟

- لاشيء مستحيل ! اولا : ان تريني المكان الذي عثرت فيه على الحجر الذي صنعت منه التمثال . موافقة؟ ثانيا : ان تتعشي معي هذا المساء ولكني اذكرك بانه سبق ان قبلت هذا الشرط .

- هل هذا كل شيء ؟

- نعم . اترين ؟ هذا ليس بالطلب المستحيل ولم اطلب منك أن تشربي البحر .

تحيرت الفتاة وخفضت عينيها . هل يمكن ان تثق بالرجل الذي خانها ؟ إن الأمر ليس مؤكدا بالمرة ولكن من ناحية اخرى ليس امامها مفر من القبول . رات رفيقها لم يتحرك ولكنها احست في الحال بيديه تستقران على كتفيها . احست بعاطفة غير محتملة تجتاحها . سقطت دمعتان وهي تهمهم :

- إنني احس بانني وحيدة للغاية !

- ولكنك لست كذلك ! اعدك بالا افعل شيئا يسيء إلى تمثالك . اتظنينني محروما من اي عاطفة ؟ انت تعرفين تماما ما احسه نحوك .

رفعت عينيها وارتجفت امام نظرته التي اخترقتها لقد سقطت عند هذه اللحظة كل دفاعاتها . لم تشعر بالخجل من السهولة التي يشعل

بها رفيقها الرغبة لديها وهي تعلم ايضا انه يحس بنفس إحساسها . بسرعة نسيا ما كان بينهما من عداوة وغرقا في بحور الحب العميقة . فجاة أحست بالسعادة العارمة فاسندت راسها على كتفه حيث تناثر شعرها الحريري الطويل على وجهه .

عندما رفعت عينيها رات أجمل عينين زرقاوين تنظران إليها في نهم. كانتا تشعان ذكاء ورغبة لقد غرقا في عالم غير حقيقي . عادا اخيرا إلى الواقع وهما يشعران بالسعادة سالها برقة وعيناه مغمضتان :

- اترين كم نحن متفاهمان؟

لم تستطع ان تجيبه بسبب كل ما تحسه بداخلها من عواطف . إنها لم يسبق أن احست بمثل هذه الأحاسيس والمشاعر من قبل طوال حياتها . لم يكن هناك داع للكلام فإن ابتساماتهما ونظراتهما تعبران عما هو اكثر من الكلام .

استعادت "سابرينا" نشاطها وجلست على مقعد . كانت تبحث بنظراتها عن ساعة حائط يمكن أن تدلها على الوقت الذي مر . ولكن عينيها لم تقعا إلا على رفوف محملة بالكتب . فجاة ابتسمت عندما وقعت عيناها على رف من الكتب مالوفة لديها .

- أوه .. حسنا ؟

- ماذا هناك ؟

- لقد اكتشفت الآن انك تمتلك المجموعة الكاملة لمؤلفات "جاك ايمز"

"جاك ايمز" هو مؤلف كتب للشباب عن مغامرات كان يتخيلها بحماس اكثر من الفتيان الصغار . كان "كولن" يمتلك المجموعة الكاملة في طبعتها الأصلية . لابد انها ذكريات عن طفولته . قال وهو يبتسم :

- طبعا .. إنني لا يمكن أن استغني عنها مقابل كل العالم .. إنها جزء من طفولتي .

www.elromancia.com

- إنني افهمك وانا نفسي قراتها كلها .

- انت ؟ لم اكن اعرف ان الفتيات الصغيرات يتحمسن لقراءة كتب الصبيان الصغار .

قالت شارحة :

- لقد قراتها لان ابي كان يحب الكتابة للصغار ،ولانه هو الذي كان يكتبها .

جلس بدوره وقد بدا عليه الذهول :

- حقا ؟

اخذ يتاملها في إعجاب ثم قال معلقا :

- هذا امر غير معقول ! إن لنا ذوقا مشتركا .

الفصل السابع

كان الدور الارضي من محال "لويدز" في الشارع الخامس عادة انيقا وفاخرا ومرتبا لكنه يقدم هذا اليوم مظهرا غير متوقع . من بين اقسام البيع ظهرت هياكل عظمية لحيوانات ما قبل التاريخ مقترضة من المتحف الخاص بالتاريخ الطبيعي . كان من بين المنظمين للعرض ومصممية "سابرينا".

لم يسبق لها ان استيقظت مبكرة لهذه الدرجة لم تكن الساعة قد تجاوزت السابعة صباحا . كان مزاجها عكرا لانها لم تصل إلى طريقة العرض المطلوبة . اما باقي المصممين والمهندسين فقد بدا عليهم النعاس والتبرم وإن كان الجميع يعملون في سرعة لان الفترينات لابد ان تفتح الاسبوع القادم . تم إلباس مانيكانات "سابرينا" العظمية بسرعة لم تتوقعها وحسب ذوقها . بدات الفوضى تقل شيئا فشيئا ومع ذلك فقد تبقى اياما عديدة قبل أن تضع اللمسات النهائية إلا أن

www.elromancia.com

المشروع بدأ يظهر في صورة يتوقع لها النجاح . حدثت مع ذلك لحظة رعب عندما تطوح أحد الهياكل العظمية بصورة خطيرة ولكن العمال استطاعوا أن يمسكوا به في اللحظات الأخيرة .

أخيرا واجهت "سابرينا" مشكلة دقيقة وهي : أين تضع القطعة الرئيسية لمعرضها وهي تمثال "امراة الماضي" ؟ كانت قطعة التحف مخباه في مكان منعزل وكان على النحاتة أن تعثر لها على مكان فريد ورائع يتناسب مع قيمة العمل . أخرجها وصول "آرثر ويلنجتون" من حيرتها . قامت بحركة سريعة بلف التمثال بقماش منقوش بالورود إذ لا تريد بأي ثمن أن يعلم "فورستر" بوجود تمثالها داخل جدران المحل . بدا التمثال مختلفا تماما ومع ذلك نظرت الفنانة إليه بعين ناقدة وهمست :

- لا بأس به ولكن تنقصه قبعة .

البست "امراة الماضي" قبعة ذات حواف عريضة ونظارة شمسية انزلتها على انفها مما انهى عملية التنكرعلى أحسن وجه . وأضافت إليها لمسة تثير الضحك عندما دست في يدهامضرب تنس .

سعدت "سابرينا" بما فعلته ورضيت عنه ونادت عاملا وطلبت منه أن ينقل المانيكان بالقرب من رجل العصر "النياندرتال" المنحني على نيران أمام خيمة حيث يمكن للجميع أن يراها . كان تناقض المنظر يضيف على العرض منظرا يثير الانتباه قالت :

- ممتاز فعلا .

أحاطت ذراعان قويتان بها من الخلف وطبع صاحبهما قبلة على عنقها . صاحت وهي تستدير :

- "كولن" ! ماذا تفعل هنا ؟

- يالها من طريقة غريبة لاستقبال الرجل الذي منحته أعظم ليلة في حياته !

- كف !

إن وجود "آرثر ويلنجتون" والعمال يمنع أي نوع من الأسرار الحميمة . ومن ناحية أخرى يجب ألا يكتشف "كولن" "امراة الماضي" بين مهرجان الديناصورات والحيوانات المتحجرة الأخرى. ومع ذلك ظهرت ابتسامة على شفتيها . قال معلقا :

- هاك ما هو أفضل . لقد حضرت كي أودعك سأستقل الطائرة إلى "أونتاريو" وأعود غدا . لقد رحلت مبكرة هذا الصباح حتى إنني لم أستطع أن أشكرك ...

أخذ صوته ينخفض . همست له :

- وانا كذلك .. لقد تمتعت ...

ظل كل منهما يتامل الآخر فترة طويلة وقد ركز عينيه على عيني الآخر دون أن ينطقا كلمة واحدة . قال أخيرا :

- أتدرين ! إنني انتظر دائما أن تفي بالشرط الثاني أم هل نسيت ؟ يجب أن تصحبيني إلى المكان الذي عثرت فيه على الحجر الخاص بتمثالك .

هنا على بعد خطوات منهما يوجد التمثال الذي استخرجته من الحجر ولكنه لايعلم شيئا . احمر وجهها وارتفعت حرارتها من الشعور بالعار مما فعلته . قالت له دون اهتمام مصطنع :

- ليست هناك مشكلة ولكن هل في رايك تلك "البيتزا" الضئيلة التي

www.elromancia.com

تناولناها سويا ستفي بالشرط الاول وهو وعدك لي بوجبة فاخرة شهية ؟

- لنقل إن هذه مجرد مقدمة صغيرة ولكن ما يقلقني حقا هو الوقت المطلوب إضاعته في البحث عن حيوان متحجر يشبه حيوانك في تمثال "امراة الماضي" ليس عندي سوى متطوعين فقط في حين اننا نحتاج إلى مئات المتطوعين وقد اضعت فترة الصباح في تجنيد الطلبة دون أن انجح .

قطبت "سابرينا" جبينها ثم صاحت فجاة :

- جمعية "لوكولوس" !

- ماذا بها ؟

- إنني لم اتحدث لك عنها . إن صديقتي "اليجرا" هي رئيسة الجمعية وهي تضم مئات الأعضاء الذين يجتمعون مرة في الشهر ليتمتعوا بوجبة شهية .

سالها دون أن يعرف ماذا تقصد ؟

- ثم ماذا ؟ ما الصلة بين الجمعية والبحث عن الحيوان المتحجر ؟

- يكفي تنظيم رحلة إلى جبال "اديروداك" ونوزع مجموعات من الفدائيين من الأعضاء لينفذوا كل ما تطلبه .

استيقظ انتباه "كولن" في الحال وسالها :

- هل انت واثقة بان اصدقاءك سيحضرون ؟

- مؤكد .

قال بحماس :

- في هذه الحالة يجب من الآن إعداد البطاقات واخذ الصور

الفوتوغرافية وتنظيم المجموعات .. ولكن يجب أولا أن اذهب إلى "اونتاريو" واتساءل هل سيكون لدي وقت للاهتمام بالرحلة ؟

- لا تشغل نفسك . سيتم تنظيمها فور وصولنا إلى الجبال أما بالنسبة للوجبة فإنني و "الجيرا" سنقوم بإعدادها .

قال في قلق فجاة :

- ولكن أرجو ألا ينتهي الأمر بان تتخلي عنا . أليس كذلك ؟

- ثق بي . ستكتشف أن اليوم سيمر في روعة وكانه سباق البحث عن كنز بواسطة الكشافة .

ضحك من وصفها وقالت "سابرينا" مازحة وهي سعيدة :

- لقد بدات تقدرني .. أليس كذلك ؟وافقها بحماس :

- نعم .

احاطها بذراعيه ولكنها تراجعت للخلف وهي منتبهة إلى النظر في القاعة في المحل الضخم في الشارع الخامس .

اما بالنسبة لـ"كولن" فإن الأمر لايهمه ولا يحرجه ولكنه مع ذلك فرد جسده واسند كوعه على تمثال "امراة الماضي" المختفي وظل ينظر في عيني زميلته :

- لقد اشتقت إليه هذا الصباح ولكننا سنجتمع مرة ثانية فور عودتي .

احست "سابرينا" وهي ترى فوق وجه ذلك العالم الجاد علامات تصاعد الرغبة . تساءلت : من هو في الحقيقة هذا الشخص الذي دخل حياتها دون استئذان ؟ لقد كان صريحا وصادقا وبليغا وعاطفيا بوجه خاص كل ذلك تحت مظهر متزمت . لا يمكن ان تقارنه باي رجل اخر من

www.elromancia.com

معارفها . لماذا تحس بانجذاب شديد نحوه ؟ ما إن يلمسها حتى تقع تحت سيطرته .

كانت تصارع ضد ضعفها وتمنت في نفس الوقت الا يقل ضغطه العاطفي عليها . قال لها :

- إلى اللقاء أيتها الشيطانة الصغيرة .

ابتسمت متسائلة :

- شيطانة صغيرة ؟

- نعم هكذا سميتك "الشيطانة الصغيرة"

قبلها قبلة . كان يريدها صغيرة ولكنها امتدت وقتا طويلا همس لها وسط شعرها :

- الرحمة يا امرأة .. إنك ستحولينني إلى مجنون !

عند سماعها كلماته استردت برود اعصابها وتذكرت الوضع الموجودين فيه وما سببه لها من إحراج . وعندما تخلصت منه وجدا نفسيهما محاطين بعيون فضولية . صاحت فيه :

- كف عن كل شيء في الحال يا "كولن" .

لم يعر إنذارها أي انتباه وقال بكل فخر :

- لا تجعلي من لا شيء مشكلة نحن في "نيويورك" ولا يهتم بنا أي شخص هيا قبليني قبلة الوداع قبل ان ارحل .

التقت عينا "سابرينا" بعيني امرأة مارة وهي تتاملها في امتعاض . حاولت أن تخلص نفسها من بين ذراعيه دون جدوى، ولكن عندما انضمت المرأة المارة إلى شابين مراهقين ورجل اعمال يحمل حقيبة اوراق جلدية صاحت "سابرينا" فيه :

- "كولن" .. بحق السماء !

اطاعها بسرعة اقنعتها أن وداعه الحار لها لم يكن سوى تمثيلية فكاهية بقصد إغاظتها . عندما استدارت "سابرينا" إلى المشاهدين وجدت "كولن" يحييهم تحية مبالغ فيها ليزيد من ضيقها خاصة عندما قوبل بتصفيق حاد . كزت "سابرينا" على أسنانها وتناولت عصا جولف كان يحملها رجل من العصر الجليدي وهددته بها وهي تصيح:

- هيا اخرج حالا !

- إلى اللقاء أيتها الشيطانة الصغيرة .

ابتعد في خطوات سريعة واختفى جسده القوي خلف ديناصور. أصبحت "سابرينا" بمفردها وقلبها حزين وسط الهياكل العظمية ثم ابتسمت .. لقد كانت "امرأة الماضي" في أمان .

www.elromancia.com

الفصل الثامن

جمعية لوكولوس

إن نزهتنا القادمة ستكون تحت عنوان "بوفيه ريفي على الطريقة الفرنسية" وستتم يوم السبت ١٢ مايو في جبال "اديروداك" وعلى الأعضاء الذين يريدون مقعدا في سيارة او يمكنهم الاستغناء عن مقعد في سياراتهم نرجو منهم أن يتصلوا بـ "فيرونيكا كوين" لقد تحدد الموعد الساعة الحادية عشرة صباحا أمام فندق "تور ثفيل" في "نيويورك" الرحلة والوجبة أعدتهما الإدارة .

الرئيسة

"اليجرا روسو"

كانت "سابرينا" سعيدة من نزهة عطلة نهاية الاسبوع القادم . كانت جالسة في ارتياح في سيارتها المرسيدس الخاصة بـ"كولن" في طريقها

إلى جبال "أديروداك" وكانت تتنفس بعمق هواء الريف. من الغريب أن ليس نجاح بعثتها ولا الأموال الضخمة التي جمعتها منها هي التي كانت السبب في رفع معنوياتها . لا .. إن اهم شيء بالنسبة لها هو الرجل الجالس الآن وراء عجلة القيادة . خلال اقل من أسبوع شغل كل أفكارها . لقد انقلبت حياتها المهنية والعاطفية على حد سواء ، والذي كان يحيرها هو أن "كولن" لا يشبه في شيء الرجال الذين انجذبت نحوهم منذ سن المراهقة . إن هذا العالم في الحفريات المتحجرة والمسرف أدار رأسها ولم تكف العاطفة بينهما عن الزيادة والنمو . إن باستطاعتهما أن يتبادلا العاطفة ساعات دون أن يعيرا انتباههما لأحد والذي زاد من حيرتها وقلب كيانها بصفة خاصة هو تعقد شغف "كولن" بها وبالعلم . وفي يوم عندما ذهبت لتفاجئه في مكتبه وجدته منهمكا في مكالمة أعمال أدهشتها . كان يتحدث بصوت مليء بالسلطة وشبه قاطع ولكن في اللحظة التي علم فيها بوجودها وضع سماعة التليفون لتجد نفسها في مواجهة عاشق ولهان مليء بالحرارة .كان ذكاؤه الحاد واتساع ثقافته يذهلها والذي كانت تندم عليه هو أنه لا يهتم بعملها .

على أية حال فإنه لم يكن يحدثها عنه ابدا ولم يشر من قريب أو بعيد إلى إعجابه بتمثال "امراة الماضي" من الناحية الفنية . لقد حصل على التمثال دون شك دون أن يتحرك من مكتبه لفحصه . أطلقت الشابة تنهيدة ، إن اللغز الذي يمثله جارها في السيارة لايزال دون حل كما كان من أول يوم . لقد تعود كل ليلة أن يمر حوالي التاسعة على محال "لويدز" ويصحبها للعشاء ورغم أنها لا تهتم بعلم الحفائر المتحجرة ولا هو مهتم بالفن فقد كانا يجدان آلاف الموضوعات للحديث .

وفي مساء الأمس غيرا البرنامج وقررا النزهة في حديقة "سنترال بارك" المواجهة للمتحف حيث يتناولان عشاء أعدته هي مكونا من

سلطة خضراوات وكرفس بالطريقة الإيطالية وأرز من كانتون وخبز فرنسي مقطع ومقدم في سلة مصنوعة من الخيزان كان مكان اللقاء في معرض للهنود الحمر في المتحف حيث سارعت إليه "سابرينا" بخطوات مرحة . في الساعة التاسعة كانت تذرع البهو شبه المظلم بينما دستة من الأولاد يستمعون إلى شرح مدرسهم أمام منصة تمثل عظمة الطبيعة ومنظر هندي طبق الأصل حيث كان الهنود يتناولون طعامهم حول النار .

أخذت "سابرينا" تفحص المكان عندما جذب انتباهها واحد من الهنود الأربعة الجالسين أمام الخيمة . ثم استانفت استكشافها . بدأ الأولاد يبتعدون وفي نفس الوقت نادت الشابة بصوت منخفض:

- أين أنت يا "كولن" ؟

- بالقرب منك جدا .

قفزت "سابرينا" فزعا عندما وقعت عيناها مرة ثانية على الهندي الرابع الجالس أمام الخيمة الذي رفع غطاء رأسه من الريش وظهر "كولن" يرتدي سترة وجينز وهو يبتسم . سالته مذهولة :

- ماذا تفعل هنا ؟ إن مملكتك في الدور العلوي .

أخذت تتامل الشخصيات المصنوعة من الشمع المحيطة بها والعظام المقلدة المتناثرة حول النار الصناعية

- أوه .. حسنا.. هذا تمثيل متقن لنار معسكر في "اريزونا"

صحح لها :

- بل في شمال "داكوتا" ماذا أعددت للعشاء ؟ أعجبته القائمة وأخذ السلة وقررا أن يتناولاه في مكانهما في صحبة الهنود الحمر المصنوعين من الشمع وقال لها معتذرا عن عدم تناولهما العشاء في الحديقة :

- إنني أموت جوعا ثم إن عندي عملا يجب أن أنتهي منه أثناء

عطلة نهاية الأسبوع وقد تأخرت في أدائه بالفعل .. هيا اجلسي هنا .

لم تتحمس الفنانة للدعوة وبدا عليها القلق . قال :

- إن المكان ليس قذرا !

ما إن جلسا حتى وضع على رأسها وشاحا من الريش مما يرتديه الهنود الحمر يشبه وشاحه وقبل أن تعترض ألبسها عقدا من اللؤلؤ الملون حول عنقها وقال مازحا :

- الآن . نحن هادئان ولن يزعجنا أحد .

جلس بجوارها وفتح غطاء سلة الطعام وأخرج منها الأطباق . اقترب منهما سائحان يحملان آلة تصوير وأخذا يتاملانهما دون أن يظهرا فضولهما .

سالها :

- ما تأثير عرضك هكذا على منصة ؟ أوه كم هي لذيذة هذه السلطة.

ابتعد السائحان وأحست "سابرينا" بالارتياح قالت شارحة :

- بصفة عامة إنني اكتفي بإلباس المانيكانات .. آه .. إنني سعيدة لأن السلطة أعجبتك والأسبوع القادم سأصحبك إلى مطعم ياباني .

قال وهو يزمجر :

- مستحيل .. إنني أكره الطعام الياباني .

- أوه يا "كولن" لا تفسد فرحتي ... هل تعرف الطعام الياباني؟

- طبعا .. سمك نيئ ! وأكرر لا تعتمدي علي .

كانت "سابرينا" توشك على العودة إلى الهجوم عليه عندما دخلت مجموعة من الزوار وعندما رأوهما يتحركان هربوا في الحال .

استانفت الحديث :

- أتدري ! ليس لديك روح المغامرة باعتبارك صائد الديناصورات . لقد كنت أعتقد أنك وقد تحملت أن يقضم ذراعك ديناصور من العصر الوسيط يمكنك أن تتحمل قضمة صغيرة من طبق ياباني .

هز رأسه بقوة :

- لا مجال للمناقشة . لقد سبق لي ان مررت بتجربة مماثلة أثناء بعثة في القطب الشمالي . لقد دعيت بواسطة احد أهالي "الإسكيمو" إلى كوخه الثلجي وذهب ليحضر الوجبة من الخارج . حفر حفرة وسط الثلج أمام فتحة الكوخ والقى بسنارته واحضر شيئا لم أعرف ابدا اسمه ... وأكلناه ... نيئا !

أخذ صوته مظهرا ماساويا ليعلق :

- لقد اصبت بذلك بالمرض .

قالت "سابرينا" معلقة في احترام :

- لم أكن أعرف أنك غامرت حتى وصلت للقطب الشمالي .

- اوه .. لقد غيرتني هذه البعثة وعرفتني بـ"تلال الأرز"

- هل "تلال الأرز" هذه بعثة أخرى ؟

- لا على الإطلاق .. إنها ضيعتي في "مونتانا" .

سالته بلهجة عدم التصديق إن كان يقول حقا أم يمزح :

- "مونتانا" ! أين هي ؟

أشار باصبعه إلى ما فوق رأسه وقال :

- في الشمال .. في أقصى الشمال .

- لست أعرف عنها شيئا . إن سكان "نيويورك" لا يعرفون كثيرا عن باقي الولايات .

- هذا واضح .

- اعذرني ! ولكني اعتقد أنك تسخرمني . أعترف انني خرجت من بين أسرة صغيرة من الطبقة الوسطى . أليس هذا ماتعتقده ؟

- لا على الإطلاق وأنا لا أسخر منك .

هزت رأسها وهي غير مقتنعة وقالت :

- تلال أشجار الأرز ... إنني لا أستطيع ان أصدق . هل ذهبت إلى

جامعة "مونتانا" ؟

- بالتاكيد وكنت كابتن فريق كرة القدم واشتركت في مسابقات السباحة والعاب القوى .

كان تمثيله وهو يقول ذلك قد جعلها تضحك قالت :

- لقد أصبت الهدف .. حسنا وبعد ذلك ماذا فعلت ؟

وضع قطعة الخبز التي يمسكها في السلة واخذ يضبط وشاح الريش فوق رأسه واعلن بجدية :

- ذهبت إلى "كامبريدج" .

ساد الصمت .

- "كامبريدج" .. في "ماساشوستس" ؟

- لا "كامبريدج" في بريطانيا العظمى .

بدا لمعان التهكم في عينيه وهو يزمجر وقال :

- لا يجب حقا أن تبدي سانجة إلى هذا الحد يا "سابرينا" !

- انا سانجة ؟

- نعم . الأنني أتيت من "مونتانا" تعتبرين كوني اعرف القراءة والكتابة عملا بطوليا . إن كل مواطني "مونتانا" متحضرون تماما قبل اهل "نيويورك" .

- حسنا .. حسنا ! ثم ماذا فعلت بعد ذلك ؟

- لقد تجولت في كل أنحاء العالم في القطب الجنوبي والتبت والمكسيك وبيرو ... وعدد وفير من البلدان بعض اسمائها يصعب نطقه والبعض الآخر غير موجود على خرائط العالم ... إذا كنت تشعرين بالملل من كلامي فقولي لي ذلك . أحيانا ما تشبه حياتي رحلة كئيبة فوق لوحة "الجمعية القومية الجغرافية" .

- لا تقل هذا الكلام السخيف .. إنها حياة مثيرة . وأفهم الآن لماذا قررت أن تستقر خلف مكتب .

www.elromancia.com

- خلف مكتب !

ضحك ضحكة عالية هزته ثم توقف فجاة وهو ينظر إلى عيني صبي صغير اللتين اتسعتا إلى أقصى حد وكان يتقدم نحو المنصة التي كانا يجلسان عليها .

أشار باصبعه إلى "سابرينا" أن تقوم بتمثيل دور الهنود الحمر أمام هذا المشاهد الوحيد الذي تجهم وجهه وبدا وكانه ضحية هلوسة مما يراه اقترب منهما وقال :

- هل انتما هنديان حقيقيان ؟

لم يتحرك "فورستر" ولا "سابرينا" وكانهما مثل التماثيل الشخصية التي تحيط بهما . قال الصبي :

- هاى ! انت تتكلم ؟ انت تفهم ما اقول ؟

لم ينطقا بكلمة ولم ياتيا بحركة . جرى الصبي لينضم إلى مجموعته وهو يشير باصبع مرتجف نحو الهنديين الغريبين . هز المدرس راسه وقاد مجموعته إلى قاعة أخرى . استانف "كولن" و"سابرينا" حديثهما :

- إن مكتبي يستخدم كنقطة انطلاق .

- ولكن الا تفكر في الاستقرار في مكان ما ؟

- نعم !عندك حق . إن "نيويورك" هي المدينة الوحيدة في العالم التي لا تؤثر على اعصابي ثم إنني اقيم فيها حاليا .

- ستجد مع ذلك الوقت للقيام ببعثة أو بعثتين ؟

قال لها وهو يبتسم :

- اتعشم أن أقوم بالبعثة التالية معك .

اضاء وجه "سابرينا" من السعادة . أراد أن يقبلها ولكنه توقف لأن الصبي كان يجر مدرسه من كم سترته وهو يشير إلى الهنديين ويصيح في إثارة :

- هل رأيتهما .. هل رأيتهما ؟ إنهما يتبادلان القبلات .

تظاهر المدرس بالمرح ولكن عندما وجد التلاميذ تتبعه في ضجة واهتمام تقدم منهما في عظمة ، كان المذنبان قد ابتعدا عن بعضهما واتخذا موقف السكون التام . صاحت فتاة صغيرة لها ضفائر :

- إنهما لا يتبادلان القبلات . إنهما تمثالان وانت لست سوى ساذج.

قال المدرس :

- هيا اقرءوا اللوحة . إنها تقول نيران معسكر في "داكوتا" .. ربما احتفال عرس أوشيء مشابه .

ارتعدت شفتا "سابرينا" أمام نظرات تلميذ يرتدي نظارة طبية وحاولت تجنبها ولكن رغما عنها غمزت له بعينها . صرخ التلميذ:

- لقد تحركت !

- ولكن لا .. اوه .

- تعالوا يا تلاميذ .. إننا لم نتم دورتنا .

تجمع التلاميذ خلف المدرس وكانهم قطيع من الأغنام يدفعهم الراعي بعصاه ، واختفوا وهم يشعرون بالأسف . انطلق "فورستر" و"سابرينا" في الضحك قال "كولن" :

- لم اكن أريد أن اقطع عليهم خيالهم .. لقد ظن الأطفال أننا مجرد تماثيل .

— أشك في ذلك .

اختفى مرحهما عندما ظهرت رأس المدرس في فتحة الباب وتكشيرة حائرة على وجهه مما جعلهما يعودان إلى وضعهما السابق .

بعد فترة خرجا من المتحف وذكر "كولن" رفيقته انهما سيخرجان في اليوم التالي إلى الرحلة الشهيرة التي نظمتها جمعية "لوكولوس" والتي ستكون من بينها مسابقة البحث عن الكائن المتحجر . قالت له :

- إنني لم انس .

ثم اضافت بمكر :

- لو اشتغلت هذا المساء بجد لكنت قد انتهيت من عقدي مع محال "لويدز".

توقف في الحال عن المشي وامسك بذراعها وواجهها .

- هذا المساء ؟ هل هذا حقيقي ؟ حسنا ولا باس في هذه الحالة لابد ان نحتفل بالمناسبة . اين تريدين ان تتناولي العشاء يا سيدتي العزيزة؟

- في مطعم في الهواء الطلق بجوار حديقة "سنترال بارك" واريد سماء فسيحة مرصعة بالنجوم فوق راسي . إنه يوم عظيم بالنسبة لي يوم غد واريد ان اتمنى امنية ابوح بها إلى نجمتي.

نادى "كولن" سيارة اجرة وادخل فيها "سابرينا".

- سامرعليك الساعة العاشرة.. ساكون قد انتهيت من عملي.

* * *

استطاعت المصممة ان تضع لمستها الاخيرة على ديكوراتها في المساء وعندما وصل "كولن" كانت تنظم الستائر في اخر فترينة عرض. قال بعد ان القى نظرة شاملة:

- شيء غير عادي!

كان يقصد بالطبع فترينات البيع والعرض لمنتجات التجميل والتي اصبحت تشبه الآن قاعة عرض في متحف حيث وجدت كل الثقافات معروضة. كان قائد جيش واقفا بجوار منصة بوجهه المغطى بالطلاء وفي زي المعركة وقد غطى راسه بغطاء من الريش. كان هذا التمثال وغيره من تماثيل العرض الموزعة هنا وهناك فوق سطح القاعة الفسيح تنعكس صورها على المرايا المتقابلة التي تضاعف من عددها بلا نهاية.

صحبت "سابرينا" زائرها إلى ناحية الاستقبال ظل صامتا دهشا. كان الرجال والنساء من العصر الجليدي يرتدون ملابس جلدية بجوار اشخاص يرتدون معاطف من الفرو بين مجموعة من الديناصورات واقفة على مخالبها الخلفية مثبتة بقوة بسلاسل فولاذية. مثل العصر الحجري بواسطة لوحات معلقة في خلفية القاعة. تلالات ابتسامة حانية على شفتي العالم دون ان يحس. لم ينبس بكلمة وإنما جلس على جذع شجرة من البلاستيك مغطاة بزهور صناعية ومواجهة للشارع الخامس. كان يفكر في نفسه . إن هذا مفارقة تاريخية تماما ولكن لسبب مالا اعرفه احس بان المنظر حي لدرجة لا تصدق . قالت له متسائلة بعد ان جلست بجواره:

- هل دهشت؟

- لقد انجزت تحفة فنية حقيقية يا "سابرينا". إنني اعترف لك انني لم اكن اعتقد على الإطلاق انك ستحصلين على مثل هذه النتيجة المذهلة. لقد تخيلت ان الامر سيكون..

همست له ضاحكة:

- اي كلام؟

هز راسه موافقا وقال لها:

- يمكنك ان تزيني كهفي عندما تريدين.

قادها نحو باب الخروج وفي دهليز المدخل احضر باقة ورد سبق له ان احضرها وقال:

- هذه من اجلك يا سيدتي من الماضي.

- اوه كم هي جميلة!

دست "سابرينا" انفها في الورود اخذت تتنفس بعمق ولمدة طويلة ثم رفعت وجهها وقد لمع من السعادة.

- اتدري انها منعشة ! لقد انتهيت من معرضي على محلات "لويدز"

وإلى الأبد.

نظر إليها في حنان ثم قال:

- الآن أنت فنانة معتمدة ولك شهرة ايضا.

- أتعتقد هذا؟ نعم انا فنانة معتمدة.

كان حماسها معديا وامسك "كولن" بيدها بقوة وهو يعلن:

- سنحتفل بهذه المناسبة.

عندما خرجا من المحلات رفع "كولن" راسه واتخذ مظهرا مهموما. تساءلت مرافقته عندما أعلن بخشونة:

- لدي خبر سار لك ولكن في نفس الوقت لدي خبر محزن لي.

رفعت عينيها وقد زادت خضرتهما شفافية، قال:

- حسنا.. اولا سنتعشى تحت النجوم كما قلت.

- والخبر السيئ ؟

أشار إلى السماء بذقنه والتي كانت ملبدة بالغيوم.

- لا توجد نجوم.

كان الهواء منعشا وباردا واخفت "سابرينا" خيبة املها وهي ترتجف ومع ذلك فإن الابتسامة الماكرة على وجه رفيقها دفعتها لان تسأله :

- الا تخفي عني شيئا ما ؟

- لقد وعدتك ان تتعشي تحت النجوم. اليس كذلك ؟

إنني عند وعدي . ولكن علينا اولا ان نلقي نظرة سريعة داخل محل بقالة لنشتري ما يلزم للنزهة الليلية.

لم يرد إذن على سؤالها. بعد عشر دقائق صعدا السيارة محملين باكياس مليئة باشياء منوعة وعندما اراد أن يسحبها إلى قسم الحلويات والفطائر اعترضت ولكنه لم يعرها انتباها. ورغم أن الساعة كانت متاخرة فإن الكثير من الزبائن كانوا يمرون على أرفف العرض.

كانت تشكيلة ضخمة من الحلويات من مختلف البلاد معروضة امام الزبائن الشرهين. قالت "سابرينا" معلقة:

- بالنسبة للرحلة أعرف محلا باسعار معقولة اما هنا فإن الإغراء قد يدفعني إلى شراء كل شيء .

رتب "كولن" الأمور بطريقة ملكية. حيث اشترى "تورتة" ضخمة بالشوكولاتة مغطاة بالكريم والفاكهة المحفوظة كي تناسب سمك "السومون فيميه" والمحار الضخم وبرطمان المايونيز الذي سبق أن اشتراها مع سلطة إيطالية كمااشتريا زجاجات المشروبات المنعشة. حملا مشترياتهما وهما يضحكان كالصبية الصغار. قالت:

- لقد سبق ان انذرتك بانني لا أستطيع أن اكبح شهيتي ولا أستطيع أن أصبر حتى أهجم على قائمة الطعام الملكية اين إذن يقع ذلك المكان الغامض لتلتهم الطعام؟

قال لها بابتسامة مليئة بالوعود:

- لقد اوشكنا على الوصول إليه.

توقفت السيارة فجاة ثم دارت حول اربع بلوكات مباني عمارات ثم استقرت في ساحة انتظار سيارات المتحف. أطلقت الفنانة زفرة أسف وقالت محتجة:

- اوه يا "كولن" ... لقد كنت أتوقع عشاء غراميا صغيرا الم تستطع أن تختار مكانا أكثر إثارة؟

- كفي عن التذمر واتبعيني.

ساعدها على الهبوط من السيارة وقادها وسط ذلك العالم الذي اصبح مالوفا لديها والمزدحم بدببة سوداء ضخمة ووعول من كندا ذات قرون ضخمة كلها ساكنة وإن كانت مؤثرة وهي في فترينات العرض الزجاجية. ظنت "سابرينا" انه سيقودها حتى مكتبه ولكنها كانت مخدوعة في ظنها .

عبرا البهو واخترقا متوغلين في مكان غير معروف بالنسبة

لـ"سابرينا" كل ذلك في الدور الأول. اخرج "كولن" مفاتيحه وفتح بابا وقال وهو يدفع ضلفته:

- تقدمي يا سيدتي.

خطت "سابرينا" بضع خطوات وهي متحيرة في حجرة يسودها ظلام دامس. سالته بصوت منخفض:

- أين نحن؟

همس وهو يغلق الباب خلفهما:

- صه! لا يعرف أحد أنني امتلك هذا المفتاح وفي الحقيقة ليس من حقنا أن نوجد هنا.

- هنا؟ ولكن ما هذا؟

كانت الظلمة تجعلها عصبية قال لها:

- ناوليني يدك.

ضمت أصابعها بين كفه العريضة وكان صوت اقدامهما غير مسموع بسبب الأرضية المغطاة بالموكيت السميك . صعدا بضع درجات وهما يتحسسان طريقهما.

تعثر "كولن" في عقبة غير متوقعة فصرخ ، قالت له صاحبته معلقة في صوت مهتز:

- أعمى يقود أعمى.

- لقد أوشكنا على الوصول فلا تخافي.. هيا اهبطي هذه الدرجات القليلة..

وضعت الشابة يدها على مادة طرية ظنتها لحما بشريا . كتمت صيحتها ونزلت درجة أخرى وفي المرة الثانية عندما لمست المادة تعرفت عليها كان مقعدا مكسوا بالقطيفة. سالته :

- هل نحن في مسرح؟

تردد سؤالها في الظلام والسكون. قال لها:

- انتظري هنا.

ترك يدها واختفى وسط الظلام.

الفصل التاسع

- "كولن" ! "كولن"!

تساءلت "سابرينا" كيف لا يسمعها وهي تحس بان صوت قدميه يرتفع ثم أخذ حذاؤه يصدر صوتا عاليا فوق الأرضية المشمع ؟ لم تتعرف على جسمه إلا كخيال والذي اخذ يختفي وسط العتمة ومع ذلك فهمت انه توقف وانه يبحث عن شيء ما عن طريق تحسس الجدار . غمغم:

- أين إذن مفتاح النور اللعين..؟ أعرف أنه موجود هنا... آه ها هو!

كانت "سابرينا" مستندة على ظهر المقعد القطيفة وعندما سمعت صيحته أحست بالخلاص ومع ذلك كان المنظر الذي في انتظارها لا يمت باي صلة إلى ما كانت تتوقعه. كانت الحجرة دائرية وفسيحة والعديد من كشافات النور المركزة في السقف انتشرت على شكل نجوم وهي مضاءة إضاءة رقيقة لتنير القبة التي تشكل السقف.

www.elromancia.com

- إنها القبة السماوية!

رفعت "سابرينا" رأسها وفحصت هذه السماء الكبيرة التي تشبه سماء الصيف والتي تغطيها مئات النجوم في منظر عظيم مذهل صاحت:

- كم هي جميلة!

أخذت القبة تدور ببطء مؤثر والنجوم تنزلق فوق الخلفية السوداء في طريقة دقيقة. انحنت "سابرينا" للخلف كي تتمتع بالرؤية حتى أوشكت أن تقع على ظهرها. صاح "كولن":

- انتبهي!

أسند كتفيها بذراعيه القويتين وظلت في وضعها المريح وهي تتابع المنظر السماوي. بعد ذلك ذهب الاثنان إلى منتصف القبة السماوية حيث توجد لوحة مفاتيح من كل الألوان. ضغط "كولن" على مفتاح التوقيف فتوقفت الحركة وقال معلقا:

- لقد أوفيت بوعدي.. لقد تنزهنا تحت النجوم.

استقرا في راحة في مقعدين ذوي مساند وقد وزعا مواد الطعام على مائدة منخفضة أمامهما وضعا على ركبتيهما مفرشا من البلاستيك وأطباقا من الورق وكانت لحظة المجد في هذه الوجبة هي عندما فتح زجاجة الشراب المنعش. ملأ كاسيهما ورفعاهما:

- في صحة "سابرينا ميلندي" تلك الفنانة الفريدة.

كان وجه الزائرة يلمع تحت النجوم الصناعية وعيناها الخضراوان تضويان من الإثارة. كان كل ما حولها ساحرا.. كان واضحا أن حدثا غير عادي ورائعا وقع. سالها:

- أتحبين شريحة من سمك "سومون فيميه"؟

أخرجها "كولن" من أحلامها وكان طعم السمك المالح يوحي بانهما موجودان في ميناء بحري أو أمام نيران معسكر وليس أمام لوحة

مفاتيح.

عندما ضغط العالم على أحد الأزرار ظهر القمر بدرا.

- هل تحبين أن تتمني أمنية تحت السماء؟

سالته وفمها ممتلئ بالطعام:

- كيف؟.. أوه.. طبعا!

أخذت تفحص القبة بكل اهتمام . سالها:

- أي النجوم تحبين أن تصرحي لها بامنيتك.

أخذ يلعب في المفاتيح حيث استعرض مجموعة النجوم فوق سطح السماء الصناعية. أجابت :

- هذه هي أكثر النجوم لمعانا .

- إنها نجمة الشعرى اليسرى .

وجه المؤشر المضاء بالفلورسنت والذي كان على شكل سهم نحو النجمة المقصودة وقال :

- تمني أمنية بسرعة!

لم تقل شيئا ولكن لمعت عيناها مرة أخرى وفي صمت أخذت تتمنى أن تظل حتى نهاية حياتها تحس بنفس العاطفة من السلام والسعادة التي تحسها في تلك اللحظة. أغلقت عينيها وهي تتمتع بعمق التفكير. سالها "كولن" بعد فترة صمت:

- ماذا إذن؟

- إنك لن تعرف أبدا الأمنية التي تمنيتها لانني لو قلتها لك فلن تتحقق.

أخذت تتلذذ بطعم السلطة وملأ زميلها كاسها بالشراب المنعش وهو يبتسم ثم شغل زرا آخر فوق اللوحة. لمع جسم هائل غطى بنوره على كل النجوم القريبة منه صاحت:

- أوه! ما هذا؟

- إنه النجم "المستسعر" الذي يتعاظم ضوءه ثم يخبو على مر الأيام بعد أن ينفجر من داخله.

- ولكن لماذا؟

- لأنه يموت ويلقي باخر ضيائه قبل أن يختفي.

أضاف وهو يبتسم في حزن:

- إن النجوم تعرف كيف تموت في بريق.

انتهيا من الطعام وتناولا الحلوى من "تورتة الشوكولاتة" وهما يحتسيان الشراب المنعش سالته:

- أرني كوكبة نجوم.

مرة ثانية قام بمحو سطح القبة ثم أضاء مجموعة من النجوم وقال:

- هذه مجموعة نجوم "برج الدلو" وحسب اسمها فهي تصب الماء.

صاحت "سابرينا" في مرح:

- إنه برجي أنا.. كيف خمنت ذلك؟

- لم أكن أعرف شيئا عن ذلك. إنها مجرد مصادفة أنا لا أؤمن بعلم الفلك يا "سابرينا".

تنهدت "سابرينا":

- أوه ! ألا يمكن ولو مرة واحدة أن تعيش في بساطة ؟ ألم تشعر بانجذاب نحو أي شيء خيالي؟

أجاب:

- بلى! ولكن بطريقتي. لست في حاجة إلى سحر ولا شعوذة.

تخلت عن المناقشة وهي تشعر بالأسف توجه المؤشر الأخضر في الحال نحو باقة مضيئة قال شارحا:

- هذا النجم النحات.

- ماذا؟ النحات ؟ لم أسمع من قبل عن هذا البرج .

- إنه كوكب النحاتين.. ألا تصدقينني؟ إذا رغبت فإنني ساظهره لك

في مجرته.

قالت له في تردد وهي لا تعرف إن كان جادا أم يمزح :

- فيما بعد.. إن كل شيء بديع يا "كولن". إنني لن أستطيع ابدا أن ارسم شيئا بهذا الجمال والإبداع.

أجابها ببساطة:

- لن يستطيع أحد أن يرسمه.. هذه هي المشكلة أتفهمين ذلك؟

- أفهم ماذا؟

- يا عزيزتي إنني لا أحس برغبة قوية نحو ما تسمينه لست أدري عندما أصبح في وجود كل هذه المعجزات بالنسبة لي فإن معجزات الطبيعة هي تلك التي لا أبدي رغبة في اختراع أي شيء يشبهها.. انظري إلى هذا النجم.. قد يكون قد ترك ملايين السنين وراءه. نحن نسبح في فضاء لا نهائي ونحاول أن نبحث عن حلول لأسئلة لم يستطع أي شخص أن يجيب عنها من قرون طويلة.. ولكن ستكون هناك أسئلة أخرى والأجيال القادمة لن تستطيع أن تجيب عنها.

سيطر عليه الموضوع الذي كان يتحدث فيه وكان يتكلم بحرارة.

- أتفهمين الآن لماذا لا أحتاج إلى سحر إنني أسبح وسط السحر ليلا ونهارا .

صاحت وهي مذهولة:

- أوه.. إنني لم أتخيل أبدا كل هذا!

أخذ كل منهما يتامل الآخر فترة طويلة. لقد بدأت تجتاحها عاطفة لم تعد تقلقها. ربما.. مجرد احتمال أن يقدم لها الرجل شيئا لم يسبق لها أن تخيلته. ربما كان هناك ما هو أكثر من تلك النظرة الخضراء التي تخترقها. لقد اكتشفت فيه مغامرا ولكنها لا تستطيع أن تصنفه. إنها على استعداد أن تتبعه إلى آخر الدنيا وإلى أبعد مكان ممكن.

تسارعت ضربات قلبها عندما اجتاحتها العاطفة المحمومة وهي

تراه بالقرب منها. لم تكن ترغب أن تنزل من السماء إلى الأرض.

أخيرا فتحت عينيها واستعادت أنفاسها المنتظمة أمسك بيديها وقال لها بصوت أجش :

- أتدرين أنه لا يوجد شيء أكثر واقعية وصدقا مثل اتحاد روحين وكيانين؟

أخذت تتنفس في راحة وهي توافقه على كلامه وإن كان جسدها لايزال يرتجف من العاطفة أما هو فقد كان وجهه يعكس عاطفة لم يسبق أن رأتها عليه من قبل. كان يردد في همس :

- أيتها الشيطانة الصغيرة.. ماذا فعلت بي..؟ إنه السحر الحقيقي.

ابتسمت "سابرينا" عندما سمعت هذا الكلام وقالت :

- إن من يسمعك الآن لا يصدق أنك من وقت قريب كنت تنكر وجود السحر بالنسبة لك يا "كولن" وإنما فقط الواقع هو ما تعترف به.

بدأت عينا العالم المتهم بالتناقض في أقواله تلمعان بطريقة تثير القلق وقد أرخى رموشه. نهض فجأة وأعلن في صوت جاد:

- ليس هناك أكثر واقعية من وجودنا معا إننا الآن أكثر حياة وحيوية وحقيقة من أي وقت مضى . لاننا في حالة حب صاف.

أخيرا ركزت "سابرينا" عينيها على القمر المثبت وسط القبة السماوية وهو يلمع باستمرار وقالت:

- لدي إحساس أننا صعدنا إلى هناك حيث القمر وعدنا لتونا من هناك.. هل أنت متأكد من أننا لا نسبح في الفضاء اللانهائي؟ ابتسم لها وقال :

- لسوء الحظ إن رواد الفضاء لا يحسون بنفس الإحساس الذي نشعر به أثناء رحلاتهم.

* * *

أخذت "سابرينا" تعيد تذكر تلك المشاهد والسيارة تصعد شيئا فشيئا الجبل. إن "كولن" رغم جموح عاطفته ورقته في الأحاسيس نحوها إلا أنه لم يتخل أبدا عن شخصيته كما أنها لم تستطع أن تكشف أعماق تلك الشخصية. ومع ذلك فإن غرابة تصرفاته زادت في الحقيقة من انجذابها نحوه. لقد كان أكثر الرجال ذكاء قابلته في حياتها ولكنه يمارس هذا الذكاء في مجال مجهول لها تماما وبعيد عن متناول تفكيرها . تقابلت عيناها مع عيني الرجل الجالس أمام عجلة القيادة في سعادة. كانت جميلة للغاية وروحها حية وحيوية. والعاطفة الصافية تطل في كل حركاتها وأفعالها وطريقة تقبلها للحياة. كانت تبدو كأنها تعيش في عالم فتاة صغيرة وبريئة وترفض أن تكبر في السن. ولكنها عندما تبادله الحب كانت تتحول إلى امرأة حقيقية كلها حياة وحيوية. قالت له:

- أعطيك قرشا لأعرف أفكارك.

- إنني أفكر فيك.. وأعطيك جنيها لأعرف أفكارك.

- أفكاري؟

- هل ستواتيها الشجاعة لتخبره أنها تفكر في كل لحظة مرت عليها وهي معه في الليلة الماضية في القبة السماوية؟ ابتسمت ابتسامة غامضة واكتفت بأن تجيب:

- أفكر فيك أنت أيضا.

خطرت عليه فجأة فكرة مقلقة.. هل ستكف يوما ما عن التفكير فيه؟

الفصل العاشر

أخذ الطريق يزداد وعورة وقلت سرعة السيارة المرسيدس. لم تكن الخريطة التي فردتها "سابرينا" على ركبتيها ذات نفع كبير لأنها في كل منحنى أو مطب كانت تضطر للإمساك بمقبض الباب المجاور للمقعد. كانت غابة ذات جمال أخضر تغطي سفح الجبل من أشجار الأرز والبلوط التي ارتفعت سامقة نحو السماء. ومن وقت لآخر كانت بعض الفجوات تتيح للراكبين فرصة إلقاء نظرة سريعة على الوادي ولكن الريح الخفيفة أثارت الغبار أمامهما حتى الأفق. سألها:

- خبريني.. كم شخصا تتوقعين حضورهم النزهة؟

قالت بغير تركيز:

- لست أدري.

وصلا إلى القمة بينما كانت سحابتان تتهاديان في كسل وسط السماء قال "كولن" بقوة:

- اسمعي أود أن أكون على معرفة واضحة. هل سيحضر العدد

الكافي من المشاركين في عملية البحث في المنطقة المقصودة؟ لقد أعددت في الليلة الماضية أثناء نومك خطة.. انظري..

أخذ يبحث بيده الخالية في درج تابلوه السيارة وأخرج منه رزمة من الورق. أخذت جارته تفحص في فضول اللوحات التي رسمها. لم تصدق في يوم ما انه قادر على إعداد هذه الرسومات بهذه الدقة الشديدة وكأنها مطبوعة سألته:

- هل أنجزت كل هذا العمل في الليلة الماضية؟

- هذا أمر طبيعي. عندما أتولى عملا فإنني لا أحسب الوقت. ثم إذا لم نتوصل إلى إتمام بحثنا اليوم فسأتمكن من معرفة أين سنستأنف البحث غدا؟

- غدا؟ ولكن كم من الوقت تتوقع أن يستمر هذا البحث؟

- إلى أن يتم العثور على ما أبحث عنه.

قالت بعناية :

- غدا.. يوم افتتاح الفترينات الجديدة لمحال "لويدز" وباعتبارك ممثلا للمتحف فأنت مدعو بلا شك للحضور.

صاح دون أن يسمع ما قالته:

- أوه.. هل قلت لي أن صديقتك "فيرونيكا" متخصصة في عالم أعماق البحار؟ نعم؟ إنني أتساءل إن كانت تعرف شيئا عن البحيرات القديمة في هذه المنطقة .

- إنك لم تسمعني.

- بلى.. بلى! أنت تتحدثين عن دعوة محلات "لويدز" لا تهتمي ولا تشغلي بالك. سنعثر على متحجرات اليوم وليست هناك أية مشكلة. هيا استنشقي بعض الهواء المثلج في الجبال. إن المرء يظن أنه على قمة "الهملايا" بعيدا عن كل أثر للناس.

- هل صعدت إلى "الهملايا"؟

- نعم من سنوات.. حسنا.. الآن ستحددين لي بالضبط المكان الذي انتزعت منه قطعة الحجر الجيري .

هبت الريح بشدة محملة برائحة الصنوبر وكانت درجة الحرارة قد هبطت على الأقل عشر درجات مئوية. سألها:

- هل طلبت من أصدقائك أن يحضروا مطارق وعدسات مكبرة؟

- أوه... لا إنني لم أتحدث معهم إلا عن الطعام .

- لا يهم.. لقد تمكنت من جمع حوالي عشرين مطرقة ومائة عدسة مكبرة. من الغريب أنك لم تنصحيهم بإحضار أدواتهم على الأقل هل شرحت لهم الدور الذي سيقومون به بعد تناول الطعام ؟

بعد لحظات من التوتر العصبي أطلقت "سابرينا" زمجرة تكشف عن شعورها بعدم الارتياح والألم .

صاح "كولن":

- ماذا؟ أتريدين أن تقولي إن كل هؤلاء الناس لم يخرج أحد إلا وفي رأسه موضوع الرحلة؟

قالت بحدة :

- حسنا.. ولم لا ؟

- ليس من الأمانة أن تشركيهم في هذا النوع من المشروعات دون أن تخبريهم مسبقا به .

- لا يهم.. إن هدف جمعية "لوكولوس" هو الحصول على يوم عطلة يتمتعون فيها بوجبة غير طبيعية.

- إن السباق للبحث عن الكنز - أعني - الحفريات - سيثير اهتمام أصدقائي كثيرا ويمتعهم.

- ولكن هذه ليست لعبة!

ضغط على فرامل السيارة ليتجنب أرنبا بريا مما هز الراكبة بشدة ثم تلا ذلك صمت ثقيل جدا قال السائق أخيرا:

- أتدرين ما مشكلتك يا "سابرينا"؟ ليس لديك أي روح للنظام. كل شيء بالنسبة لك ليس جادا ولا يهمك شيء عدا فنك وإبداعك وافتتاح محلات "لويدز".. هل تفهمينني؟

- أوقف السيارة!

- لا تقولي أشياء لا معنى لها. نحن على بعد كيلو مترات من ..

- أعرف أين نحن .. أوقف السيارة!

أوقف السيارة وخرجت "سابرينا" منها ثم صفقت بابها بشدة خلفها. أما هو فلم يتحرك من مقعده بينما هي تبتعد مباشرة في طريقها للأمام في خطوات واثقة ونشيطة.

لماذا كان عدوانيا بهذه الدرجة؟ إن المسألة دون شك مسألة أعصاب. فبدلا من الاستفادة من هذه الرحلة الرائعة فقد صدع رأس شريكته بالانتقادات والتعليقات حول المطارق والعدسات المكبرة! أخذت الأفكار الغاضبة تتصارع في رأسه لماذا يلومها على حبها للفن؟ أدار محرك السيارة وتقدم ليلحق بـ"سابرينا" قال لها من نافذة الباب:

- هل يمكنني أن أقول لك كلمة؟

- لقد قلت ما يكفي.

ظل يتقدم بنفس سرعتها حتى يتيح لها فرصة كي تهدأ. تساءل: لماذا تتظاهر بعدم وجوده ؟

قرر أن يسرع ويسبقها ببضعة أمتار ثم نزل من السيارة واستند على مقدمتها وانتظر. لم يعد في استطاعتها التقدم في طريقها ولا أن تقف في سذاجة وسط الطريق فاتجهت نحوه مباشرة ناداها برقة عندما اقتربت منه:

- "سابرينا"!

كان بإمكانها أن تتظاهر بعدم رؤيته لكنها أحست بأن الأمر يثير السخرية وفضلت أن تواجهه . كانت قد بدأت تهدأ . قال لها برقة :

- ربما كنا مخدوعين نحن الاثنين.

- ليس هناك شيء مؤكد.

- اتريدين أن تقولي مثلي .. إنني على حق؟

فتحت فمها لتحتج ولكنه لم يتح لها فرصة أن تنطق بكلمة.

- إنها لعبة يا "سابرينا" لا تقولي لي إنك لا تتمتعين بروح المرح؟

- أنا! لا أتمتع بروح المرح؟ إذا كان هناك من لديه روح مرح بكثرة فهي أنا يا سيدي العالم.

لقد عاد الموقف مرة أخرى إلى التوتر وغامر بسؤالها :

- أحب أن أعرف على أية حال لماذا لم تخبري صديقاتك عما ينتظرهن اليوم؟

- حسنا.. إن "لوكولوس" لم تتكون إلا من أجل المتعة والمرح ولم تضع في اعتبارها أبدا أنها تخدم شيئا ما.

- هكذا؟

في الحال ثار غضب محدثها.. كان غضبا حقيقيا وارسلت عيناه شررا حتى إن "سابرينا" ارتعبت.

صاح:

- أنت لا تقدرين أبدا عملي . أليس كذلك؟ إن كل حساسيتك الفنية تختفي وتموت عندما تشتركين في عمل لا يتناسب مع روحك.. إنك لاتبذلين أي جهد لتفهمي الآخرين.

قالت بلهجة رزينة:

- أنت لست معقولا يا "كولن". لو قلت لصديقاتي إنهن سيخرجن في مغامرة بحثا عن حفريات متحجرة فلا أعلم إن كن سيقبلن النزهة أم لا. ولكن لو وضعناهن أمام الأمر الواقع فإنهن سيجدن . الفكرة غريبة ومسلية دون أن يتوجسن شيئا.

- غريبة ! غريبة!

ردت عليه في حيوية وحدة :

- نعم بالضبط. انت لا يمكن أن تتصور أن الإنسان يمكن أن يمرح ويتمتع . إن المتعة شيء لا تعرفه .

ابتسم العالم عند تذكر كلمة المتعة فتصلب جسده . على أية حال إذا كانت المشكلة بينهما لم تحل فعلى الأقل فقدت جزءا من حدتها. إن "سابرينا" لا يمكن أن تنمي روح العداوة بينها وبين رفيقها وهو لا يستطيع أن ينظر إلى وجهها الباسم المغري دون أن يذوب هياما لاعماق قلبه. إن الجدال يمكن أن ينتظر.

بعد نصف ساعة انتهى اجتماع المدينة واخذت جميع أنواع السيارات تتجه نفس الاتجاه. انتشرت روح الرحلة بين الجميع. كان كل المشتركات من الفتيات وقد رفعت الرياح شعورهن في الهواء واخذت "سابرينا" تستنشق النسيم العليل بعمق وقالت:

- إنه رائع!

قال رفيقها في دهشة:

- يوجد على الأقل خمسين سيارة.. لا تقولي لي إن كل هذا الحشد اتى فقط من أجل رحلة بسيطة.

صاح صوت مرح خلفه:

- طبعا بالتاكيد نعم.

استقبلتهما "اليجرا" بالترحاب المعهود عنها وقدمت لهما قناعين فكاهيين. كان حماسها معديا. رفع "كولن" شيئا مما قدمته له في طبق إلى فمه ثم اطلق صيحة دهشة:

- إنه حقا لذيذ.

قالت "اليجرا":

- إنها سر كبير الطهاة ولكن عضوات الرحلة طلبن منا الوصفة.. هل تريدان أن تنضما إليهن ؟

قال في حيرة وارتباك :

- لقد اتيت هنا بناء على دعوة "سابرينا" ولكني اشعر بإغراء ان انضم إليكن.

- رائع.. سارسل إليك استمارات الانضمام لتملأها فور عودتنا إلى "نيويورك" وستعطينني "سابرينا" عنوانك .

انسلت وهي تحمل طبقها نحو مجموعة صغيرة مجاورة .

سأل "كولن":

- هل تمزح؟

أعلنت "سابرينا" وهي غير مقتنعة:

- يا إلهي! أعتقد انها.. تظنني عاشقة لك.

- أوه!

سادت لحظة صمت مشحونة بالأفكار غير الواضحة قطعتها وصول "فيرونيكا". كان زيها يثير الدهشة من بنطلون كاكي وقميص مربعات اسكتلندي وسترة من التيل وحذاء برقبة طويلة. علقت على صدرها عدسة مكبرة بسلسلة حول رقبتها وهي تطوح مطرقة في إحدى يديها وامسكت سندوتشا بالثانية .

صاحت في مرح وهي تلوح بالمطرقة:

- هاللو! أين يختفي ذلك المخلوق الذي يمثل الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرد؟ أنا على استعداد للانطلاق بحثا عنه.

دهش "كولن" في سعادة واستدار نحو "سابرينا" ولكنها اكتفت بان تقول ببرود:

- ومع ذلك لم أقل لها شيئا. لا شك أن "اليجرا" هي التي قالت لها.

استقبل "كولن" بسعادة هذه الشريكة التي تشاطره ذوقه. قال:

- أتعشم أن نعثر على عش للكائنات المتحجرة في هذا الركن وإذا حالفنا الحظ فسيعطوننا إجابة عن أسئلة تخص تطور البرمائيات

والزواحف.

- هل يمكن أن تهتم بعظام تخص الزواحف المجنحة عثر عليها في "أونتاريو"؟

- لدي دراسات عن هذا الموضوع في سيارتي ويمكنني أن اريها لك.

- بكل سرور واحترام.

ترك "كولن" "سابرينا" مسمرة في مكانها وتبع الشابة الأخرى ظهرت "اليجرا" فجاة وهي تبتسم في مكر قالت لها "سابرينا" بصوت ممطوط:

- لم أعد أفهم شيئا!

- في رأيي إنك عاشقة له.. تعالي كل شيء معد من أجل الرحلة واتعشم أن تكوني شديدة الجوع.

في الطريق لمحت "سابرينا" "كولن" وقد فرد الرسوم امام عينيه مع "فيرونيكا" ولكنها فضلت ألا تنضم إليهما. كانت الموائد مفرودة ومقامة في منطقة تطل على كل الوادي. دارت أطباق مليئة بالطعام على أعضاء الرحلة. أخذت "سابرينا" تتامل المنظر الرائع للوادي ببحيراته الزرقاء التي تلمع وسط كتلة الصخور الداكنة والخضرة. همس صوت في أذنها:

- نعم.. إنه رائع!

كان واقفا بجوارها مثيرا للإعجاب هو أيضا وسط الطبيعة البرية. ظل "كولن" صامتا وهو يتنفس بعمق .

همست "سابرينا":

- أريد أن ارسم هذا المنظر الطبيعي.

- ماذا.. ولكن ماذا ترين بالضبط؟

- أرى الوانا حية وظلالا ملونة تحت ضوء شبه وردي كم أود أن ارسم ما أراه وأن أحاول أن أستخلص خلاصته كما فعلت مع "امراة الماضي". ولكني في تمثالي عبرت عن الحركة . هنا المهم التعبير عن

السكون.

قال معلقا:

- يا لها من غلطة! انظري إلى حافات البحيرات الصخرية إن تلك الصخور لم تكن من قبل هنا وستختفي بعد ذلك.

- اتهزأ بي؟

- إطلاقا! إن الأرض التي عليها نعيش في حركة دائمة. ولما كنا لا نقضي سوى لحظات قصيرة فوق قشرتها فإننا نحس بانها ساكنة.

قالت معلقة في قلق:

- ولكن متى تكف عن الحركة؟

- لن تكف أبدا.. انظري.

انحنى وجمع قبضة من الطين المخلوط بالحصى وقال لها:

- انظري إلى هذه الخطوط المضلعة على المحارة. إنها آثار زواحف قديمة.

- يا إلهي! أعطها لي لأنني اريد الاحتفاظ بها.

أعجبت هذه الملاحظة نوق رفيقها:

- أنا سعيد لأنك اهتممت بها. هذه ليست الزواحف التي انقرضت من آلاف السنين وإنما آثارها التي تركتها. على أي حال هذه نسخة مقلدة.. هل تهتمين بها؟

- لا على الإطلاق.

- لسوء الحظ هي صغيرة جدا رغم سنها. إن الحلقة المفقودة التي نبحث عنها نشأت قبلها. وإذا عثرنا على محارات أكبر عمرها حوالي ثلثمائة وخمسين مليون سنة فإننا نكون قد اقتربنا من هدفنا لأن حلقتنا المفقودة يرجع تاريخها إلى هذه الحقبة.

وإذا عثرنا عليها فيجب أن نركز بحثنا على هذا الركن من الأرض.

- ولكن ألا تفضل أن أريك المكان الذي استخرجت منه حجارة تمثالي

"امرأة الماضي"؟

- نعم.. يجب أن نبدأ من ذلك المكان ولكن حتى نبدأ فإنني أشعر بالجوع.

في خطوات قليلة انضما إلى المجموعات الصغيرة التي تكونت حول الموائد الطويلة التي رصتها "اليجرا" التي استقبلتهما بابتسامة غامضة حيث كانت تراس اجتماع الطعام. خلفها امتدت بانوراما رائعة للوادي وظهرت في الأفق قمم الجبال وسط السحاب. كانت الموائد مزينة بالورود البرية جمعوها من المنطقة وكان تأثير ذلك راقيا وممتعا في آن واحد.

قالت رئيسة الجمعية:

- لقد بدأنا بطبق "فيشيسوار" أي حساء بطاطس بارد بالفلفل بعد ذلك يأتي السجق في حلة.

قال "كولن" بعد أن عددت "اليجرا" الأطباق:

- إن هذا يبدو لذيذا وشهيا.. لن أستطيع أن أتذوق من كل طبق أبدا.

قالت "اليجرا":

- سنرى أنك ستطلب منها مرة ثانية.

سمعا صوتا مألوفا خلفهما يقول:

- هذا حقيقي! واعرف ذلك بالتجربة.

كان المتحدث "جيف" في صورة مبالغ فيها وقد التمعت عيناه أمام الأطعمة الكثيرة المفرودة أمامه قدمت له "سابرينا" في الحال كاسا من الشراب المنعش.

- منذ متى وصلت؟

- حالا. بالضبط كي أشترك في الوجبة... آه كيف حالك يا سيد "فورستر"؟ أعتقد أن هنا شخصا يريد أن يقابلك. لقد حضرنا سويا.. إنه "آرثر ويلنجتون" إنه يود أن يناقش معك..

قاطعته "سابرينا" في عصبية:

- أعرف لماذا جاء وانت يا "كولن" أرجوك الا تحدث شجارا.

- أنا؟ أتشاجر؟ حسنا جدا.. ساقوم بإنهاء المشكلة برقة وبمفردي.

- نعم ربما كانت هذه فكرة جيدة.

نهض عالم الحفريات المتحجرة وطبق الطعام في يد وكاس الشراب المنعش في الاخرى واتجه مباشرة إلى "ارثر" الذي ظهر على طرف البراري أعلن "جيف" :

- سأذهب إليهما أيضا إنني لا أريد أن أفسد المناقشة.

أخذت "سابرينا" مقعدا مخصصا للجلوس على العشب وجلست عن بعد في قلق وهي تراقب المشهد. تصافح الرجلان دون حرارة ثم بسرعة بدأ الحديث المشترك ، كان حيويا في البداية ثم تحول إلى ودي واخيرا ذهلت "سابرينا" عندما شاهدت كلا من "جيف" و "ويلنجتون" يستمعان - وفمهما مفتوحان - إلى حديث طويل من "كولن".

عاد "كولن" أخيرا وهو راض ولكنه كان عازفا عن الإفصاح عن تفاصيل المناقشة. قالت "سابرينا" التي بدا عليها نفاد الصبر:

- حسنا! لقد اكتشفت أن السيد "ويلنجتون" مهتم دائما بتمثال "امرأة الماضي".. لدرجة انه رفع سعر المزايدة على ثمنه.

تناول جرعة كبيرة من الشراب المنعش لمجرد أن يزيد من حنق رفيقته وعدم صبرها وهو يتلذذ ببطء محسوب وكانه لم يسبق له أن شرب مثله سالته في حماس وشغف:

- ثم ماذا؟ بماذا أجبت عليه؟

- بالحقيقة.

- الحقيقة؟ أية حقيقة؟

- إنني سافكر في اقتراحه والآن لا تفكري في الامر بعد ذلك ودعينا نتمتع بهذا النهار الرائع.

كانت تعرف بخبرتها انه لن يرجع في قراره ولذلك تبعت نصيحته وتمتعت بريح خفيفة هبت في تلك اللحظات. كان كل عضوات الجمعية قد استسلمن إلى فترة راحة وكسل. لقد انتهت الوجبة في جو مرح ووجد كل فرد العبارات المناسبة لمدح الأطباق قالت "سابرينا":

- يا لحسن حظ هؤلاء الفرنسيين الذين تتاح لهم فرص دائمة لالتهام هذه الأطباق اللذيذة.

صاحت "فيرونيكا" بعد أن جلست بجوارها:

- برافوا. انا سعيدة لانك تمتعت بالوجبة. اتحبون أن نبدأ في مطاردة الحيوان المتحجر؟ أعتقد أن اللحظة مناسبة.

قال "كولن":

- فكرة طيبة. أتحبين أن اصدر إعلانا؟

- ساقوم بذلك.

قامت "فيرونيكا" وطرقت شوكتها على كوبها حتى يصمت الجميع ثم أعلنت بصوت جهوري قوي:

- اسمعن كلكن ! لقد أعددنا لكن مفاجاة. إن هذه الوجبة التي كانت لذيذة ليست بهجة هذا اليوم الوحيدة ففي غضون دقائق سننطلق في مطاردة ديناصور!

انطلقت ضحكات وصيحات الدهشة بعد هذا الإعلان . تابعت "فيرونيكا" حديثها وهي تشرح بوضوح تام نال تقدير "كولن" كيف ولماذا يجب العثور على الكائن المتحجر.

- إن الخاتم أو إذا قصدت تسميته الحلقة المفقودة يمكن أن تكون مختفية في هذه المنطقة وها هو الأستاذ "فورستر" الذي اكتشف العينة الوحيدة السليمة لهذا الحيوان وهو حيوان برمائي اسماه "روجر".

همس "كولن" لجارته:

- هذا حقيقي ...

- هل سميته "روجر".. لاي سبب؟

شرحت "سابرينا":

- إنه لقب مالوف يجعل الحيوان المتحجر شبه إنساني .

تقبل عالم الحفريات في مجال الكائنات المتحجرة هذا التفسير ووزع على المحيطين به الخرائط الجغرافية والشروح التي أعدها. وقال:

- سنهبط الجبل بطريقة منظمة وهذا سيبدو غريبا وكاننا نصعد في الزمن ويكفي أن تنظري بدقة .

بعد دقائق وجد نفسه وسط مجموعة. قالت "فيرونيكا" لـ"سابرينا":

- إن حظك كبير أن تقابلي مثل هذا الرجل وليس بغريب أن وقعت صريعة حبه والسبب الوحيد الذي يجعلك لا تعترفين بذلك هو أنك عنيدة.

- ماذا .. أنا؟ ولكن لا إنه هو العنيد.

- إذن مادمتما انتما الاثنان عنيدين فيجب على واحد منكما أن يقرر أن يبدأ الخطوة الأولى. ولم لا؟

- منذ متى أصبحت خبيرة في حياتي العاطفية؟

- اوه إنني لم أقدم إلا اقتراحا. ولكنك تعرفين تماما انني على حق.

أخذ هذا الحديث الثنائي القصير يدور ويلف داخل عقل "سابرينا" بينما كان "كولن" يواصل حديثه تساءلت هل هي عاشقة له حقا؟ أوه... لقد تذكرت هيامها بأول أستاذ لها في كلية الفنون كان حبا صبيانيا ومع ذلك فإن حبها لـ"فورستر" لا يختلف كثيرا عن ذلك الحب. إنها عندما تراقبه وسط البراري الخضراء وهو محاط بهذا الكم الرهيب من النساء والرجال المنتبهين له جعلها تحس بعاطفة مزعجة من الاحترام. سمعته يقول:

- والآن ساوزع عليكن المطارق والعدسات المكبرة وأطلق لكن العنان.

تفرقت عضوات جمعية "لوكولوس" في جماعات صغيرة سعيدة ومرحة في كل الاتجاهات. كان من يراهن يظن أنهن فريق الكشافة في طريقهم إلى الحرب وبقي بعض المتطوعات ليساعدن "فيرونيكا" لإعادة ترتيب كل شيء. اشترك "كولن" مع "سابرينا" في مهمة التنظيف.

بسرعة عادت الباحثات منتصرات بعينات أو على الأقل هذا ما ظننه وقد بدا عليهن الاهتمام الشديد . وكان على الأستاذ أن يقلل من حماسهن بصبر شديد نال إعجاب "سابرينا":

- لسوء الحظ هذه ليست آثار المتحجرات التي تظهر على هذه الأحجار وهذه ؟ إنني اتساءل إن كانت بقايا سيارة قديمة.. ورسم الورقة هذا على الصخر يجعلها تبدو دون شك قديمة جدا ولكنها لا تزيد في العمر إلا بالكاد عشرين قرنا..

بمرور الوقت لاحظت "سابرينا" أنه يحاول أن يكتم بداية الشعور بالضيق والتبرم. قال معترفا:

- إنني أقدر لهن حماسهن ولكن أود منك أن تدليني على المكان بالضبط الذي أخذت منه الحجر الجيري .

قالت بحماس وهي سعيدة بالهروب مما كشفت عنه "فيرونيكا":

- إنه قريب من هنا.

أمسك يدها بحركة عفوية وطبيعية تماما وصعدا تلا صغيرا كي يدخلا طريقا على الجانب الآخر من الجبل. كان طريقا لايزال يجري إنشاؤه وقد تم تحديد أرصفته وقد وقف "بولدوزر" على جانبه أمام جدار مغطى بالرخام همهم "كولن":

- إن عمر هذه الصخور على أقل تقدير مائتا مليون سنة وهو عمر غير كاف بالنسبة للحلقة المفقودة التي أبحث عنها ومع ذلك تمثل أهمية كبيرة.

صاحت:

- انظر.. إنه هناك.. إنه المكان الذي انتزع منه العمال الصخرة التي استخدمتها.

قطب "كولن" جبهته وهز رأسه بقوة علامة النفي .

صاحت:

- ماذا؟ ألا تصدقني؟

- بلى، أصدقك وهذا ما يزعجني.

أخذ ينزع بالمطرقة شرائح من الصخر وطار الغبار والحصى في الجو وتكومت مجموعة من الصخور تحت أقدامهما وأخذ العالم يفحص الفجوة التي صنعها في الصخر .

- هذه لا تشكل جزءا من الجبل.. انظري.. ألا تلاحظين؟ هذه الكتلة الضخمة التي انحشرت وسط الجبل.. إنها غريبة وليست من مكوناته الأصلية.

رغم صدق رغبتها في الفهم لم تلاحظ "سابرينا" أي فرق ملحوظ. أخذ "كولن" يكلم نفسه ويردد أن من المحتمل انه اكتشف بالتأكيد كتلة صخرية أتت من كندا. لم تصدق "سابرينا" أذنيها. إنها تتذكر أنها منذ عرفت "كولن" كانت تخشى انه لا يعاملها بجدية. على أية حال لماذا لا تختبر صدق كلامه؟

سألته:

- لو أن هذه الصخرة أتت من كندا فهل يمكن أن تتفضل مشكورا بأن تشرح لي كيف أتت؟

لدهشتها الشديدة وجدته يبتسم :

- أرجو المعذرة لأنني انهمكت في هذه المهمة بشدة لدرجة أنني أقول أي شيء. أنت تعلمين أن جبال الثلج من عدة ملايين من السنين انفصلت عن الدائرة القطبية وهبطت إلى مناطقها السفلية ولا شك أن أحد تلك الجبال الثلجية من حوالي أحد عشر ألف سنة سحب معه في رحلته كمية من الأنقاض من كل نوع.

أخذ ينظر إلى الصخرة التي أمامه.

- هذه الصخرة جزء من ذلك الحطام المخفي داخل جبال الثلج ولسوء الحظ أن حلقتنا المفقودة غير موجودة في هذا الركن.

حزنت "سابرينا" ولم تعرف ماذا تقول ولكن "كولن" لم يسمح لنفسه بالهزيمة وقال لها:

- من فضلك لا أريد أن تواسيني واذهبي إذن لتنضمي إلى جمعية

"لوكولوس" وسالحق بكن بعد دقائق حتى أستطيع أن انتزع بعض العينات من هذه الصخرة وساحضرها معي.

- ولكن يا "كولن" ربما استطعت أن تواصل بحثك نحو الطريق الذي اتبعته جبال الثلج حتى تصل إلى المصدر و.. ماذا.. هل قلت شيئا غريبا لهذه الدرجة؟

- لقد استطعت بالضبط أن تتصوري الخطة التي كنت ساتبعها.. أتدرين ؟ إنني متأثر جدا بهذا المنظور الجديد.

عندما ابتعدت "سابرينا" أخذ يطرق طرقات خفيفة على جدار الصخرة وقد تملكه فرح مجنون. كان الأمل في أن يعثر على كائن متحجر يشبه "روجر" أملا ضئيلا وكان الأمر يتطلب منه ساعات وساعات ليفحص كل جزء ولم يكن لديه الأدوات اللازمة والمناسبة ومع ذلك تحمس لأنه كان متأكدا من أن تلك الصخرة تخبئ له مفاجآت.. ومع ذلك انتهى به الأمر بفتور حماسه .

يا للأسف إن هذه المنطقة بعيدة عن محل إقامته وإلا لعاد عدة مرات حتى يعثر على ما يبحث عنه.

جمع عيناته وقد قرر أن يدرسها فور عودته إلى بيته وهبط الجبل حتى الطريق. ما إن خطا بضع خطوات كي ينضم إلى مكان الاجتماع حتى سمع زمجرة رهيبة جعلته يقفز في مكانه. لاحظ عندما استدار أن تلك الضجة صادرة من كهف خلف جدار الصخر الذي كان يفحصه.

لدهشته الشديدة شهد منظرا مذهلا. كانت تلك الكتلة الصخرية التي ظلت تثير حيرته سقطت من مكانها لتصطدم وتستقر في المكان الذي كان يقف فيه وتتحطم . تناثرت كمية رهيبة من قطع الصخر والحصى وسط عاصفة من الغبار ثم سقطت تحت قدميه.

أخذ يهمهم:

- لقد أفلت منها باعجوبة .

كرجل مهني محترف انحنى "كولن" وجمع بعض الحطام من فوق الأرض. تملكه القلق. هل هذا الحطام ناتج عن تلك الصخرة التي أخذت

منها "سابرينا" الحجر الجيري الذي صنعت منه تمثالها؟ هز رأسه في حزن وهو يكشط قطعة الحجر الجيري. تفتت العينة. قال في نفسه:

- يا للمسكينة "سابرينا" ومع ذلك لابد ان أحذرها من أن حجر التمثال هش للغاية.

صعد نحو المنطقة المكشوفة من الجبل وكانت افكاره تدور في حلقة من التشاؤم. قال في نفسه مرة ثانية:

- اعرف بالضبط ماذا سيكون رد فعلها!

الفصل الحادي عشر

- استمري في هذا الوضع الرائع يا آنسة "ميلندي"! أخذ المصور يلتقط عدة لقطات لـ"سابرينا" وهي مبتسمة بطريقة طبيعية عابرة ومؤثرة وهي واقفة أمام حطام من العصر قبل الحجري. كان شعرها يتطاير في حرية فوق كتفيها. كانت قد ارتدت لهذه المناسبة ثوبا جديدا من الحرير الأبيض له سوستة من الخلف بطوله. خلفها كان جمهور من الطبقة الراقية يستعجل افتتاح المعرض . كانت إحدى المشاركات في المعرض تصيح غاضبة في المصور:

- أسفة! ولكن ليس من حقك أن تترك هذين الرجلين من العصر الحجري هنا مع الديناصورات كما أن الانتظار هنا ليس مسموحا به وإذا لم ترفعه فإنني سانقل الديناصور إلى مامور القسم.

انطلق جيرانها في مجموعة من المزاح والنكات بنفس الطريقة التي أشاعت البهجة في الجو.

بعد ذلك تركت "سابرينا" وضع التصوير الذي هناها عليه المصور بحرارة وهو يقول:

www.elromancia.com

- أود أن اقابل هذه المجموعة الصغيرة الموجودة هناك. إنهم أشخاص مهمون جدا.

صافحت "سابرينا" بابتسامة ساحرة يد شقراء باهرة الحسن غطتها الحلي والمجوهرات في كل جزء من صدرها وذراعيها ورأسها ويحيطها اثنان هما "أوجار" و"سيسيل بار لو". قالت المرأة المسماة "هيثر جنتري" للفنانة الصاعدة :

- آه.. انت الفنانة الشهيرة التي سمعت عنها الكثير إذن لقد كنت في المزاد كما تعلمين ولو كنت اعرفك أكثر وقتها لزايدت على الثمن على ذلك الشاب الذي حصل على تمثالك.

قال "ويلنجتون" مصححا:

- هذا الشاب هو "كولن فورستر".

فكرت السيدة "جنتري":

- "كولن فورستر"؟ العالم الذي عضه الديناصور؟

قالت "سابرينا" في مرح:

- إنه هو بعينه.

استانفت السيدة حديثها:

- يا لها من مغامرة غريبة.. هل هو من هواة جمع القطع الفنية؟

قال السيد "ويلنجتون":

- لا على الإطلاق.. ولكن هذا التمثال كان يهمه بصفة خاصة بصفته عالما أكثر منه فنانا.

ابتلعت "سابرينا" ريقها في خوف أن يتكشف موضوع الكائن المتحجر ولكن السيدة "جنتري" لم تكن متحمسة لهذا النوع من العلماء. استدارت نحو "سابرينا" وأخذت تهنئها بحرارة وبنظرة محسوبة وهي تقول:

- هل كنت مشغولة طوال الأسبوع؟ لقد حاول ممثلي أن يعثر عليك ولكنه لم يستطع الاتصال بك.

احست الشابة بالإحراج ولم تستطع الاعتراف بانها لم تفض غلاف

البريد ولم ترد عليه خلال الأيام الأخيرة حيث شغلها المعرض. قالت السيدة "جنتري":

- لا يهم.. عندما ينال المرء نجاحا فإن ذلك يدير رأسه وهو أمر طبيعي. ومع ذلك أعترف لك بأن أعمالك نالت انتباهي وأحب مناقشتها مع وكيلك.

- وكيلي؟

- نعم.. لقد علمت أنك تحتفظين ببعض اللوحات دون عرض وهي طريقة ماكرة. لقد علمني زوجي الثالث أن اهتم وأقدر تلك الطريقة من العرض والطلب وأهنئك على اتباعك هذه السياسة.

أخذ قلب "سابرينا" يدق وهي تحاول أن تخفي الإثارة التي سببتها لها تلك السيدة بمجاملاتها تارة ورغبتها في الشراء تارة أخرى. بعد فترة شرح لها "ويلنجتون" أن المزاد كان مثار الحديث في الأسابيع السابقة وأن أهل الفن تاثروا به كثيرا وقد تلقى هو نفسه مكالمات تليفونية من مختلف وكلاء الفنانين في السوق حول تلك الفنانة الموهوبة. وهذا الصباح بالذات عرضت عليه صالة عرض "شوميكر" تنظيم عرض لأعمالها.

ظلت صاحبة الشان صامتة . لقد أدار هذا النجاح رأسها. نصحها محدثها:

- لابد أن يكون لك وكيل لأعمالك وبالمناسبة لقد اتصلت بـ"كولن فورستر" هذا الصباح وقدمت له خمسة الاف دولار زيادة على ثمن "امراة الماضي" ولكن ذلك الرجل لم يرد أن يستمع إلى اي شيء. أما بالنسبة للوكيل فربما "جيف".

حاولت الشابة أن ترتب أفكارها بصعوبة .فمن ناحية كان كل ما يحدث جديدا عليها ومن ناحية أخرى كان رائعا. وبالنسبة لمستقبلها الفني لم يعد لديها ما يقلقها ولكن "كولن"! منذ يوم الرحلة كان يتصرف بطريقة لا تحتمل. رحل إلى كندا وكانه يقوم بعمل يتعلق بامن الدولة ثم عاد دون أن يفصح عن أي أخبار! هل كان في المتحف في الليلة

الماضية؟ وهي لم تستطع أن تلقاه رغم مكالماتها المتواصلة له. قالت معلقة:

- إنني دائما آخر من يعلم.

بعد دقائق ظهر "جيف" وسط الجمهور الفاخر في بدلة كاملة بلون أزرق داكن وربطة عنق بمربعات وأخذها في حرارة بين ذراعيه . وقال معلقا:

-أنت ترين أمامك رجلاجديدا.. الآن أصبح لي هدف ومهمة.

- أنت؟ دعني أخمن.. وكيل فنانين؟

- برافو وهل تعرفين ما أول عملية لي؟

- أنا بالطبع!

- نعم.. اعترفي أن لي مكانة رفيعة عن طريق ذوقي وصلاتي مما يساعد على ترويجي لإنتاجك. ثم إنها فكرة "آرثر". ثم أيضا أعطيني مفتاح شقتك وسانطلق إليها في الحال.

قالت تساله في حيرة:

- وماذا تريد أن تفعل بمفتاح شقتي؟

- لانني أقمت معرضا خاصا بي باللوحات التي اشتريتها منك وأن العديد من المشترين سيسارعون لاقتناء أعمال "ميلندي" ويجب أن أريهم بقية المجموعة. وهل أفعل ذلك خارج شقتك؟

فكرت "سابرينا" في الأمر الذي أثار قلق محدثها.

- ألم يطلعك "آرثر" على خطوات هذا المشروع؟ ما رأيك؟

- لقد حدثني "ويلنجتون" ولكني كنت مشغولة تماما طوال هذا الأسبوع .. لقد تركت كل شيء معلقا.

قال لها وهو يرفع يده بطريقة مسيطرة :

- ليست هناك أية أهمية . ساهتم بكل شيء اعتبارا من اليوم. أنت في حاجة إلي يا "سابرينا" ولكن... هل نسيت أن تفتحي بريدك من أيام طويلة؟

- نعم وحتى لم أستمع إلى الرسائل التليفونية المسجلة.

- اعتمدي علي.. ساعيد عقارب الساعة.

رحل وقد بدا عليه الاهتمام ومفتاح شقتها في يده دون أن يتوقف ليشرح لها التفاصيل . وفي اللحظة التي خطا فيها "جيف" خطوتين نحو الجمهور ظهر "كولن فورستر" . تقابل الرجلان وتبادلا نظرة تدل على المؤامرة لم تغب عن "سابرينا" ثم أخذا يتناقشان مدة دقيقة. اقتربت منهما. قال "جيف" بلهجة تامر:

- أعتقد أن المشروع الذي تحدثنا عنه قد اتخذ مساره.

- تماما.. لقد انتهيت بصعوبة من ساعة.

تاملت "سابرينا" الرجلين واحدا بعد الآخر دون أن تفهم . سالت أخيرا في عصبية:

- ماذا يخص هذا الموضوع؟

قال "كولن" في تاكيد ماكر:

- لا شيء على الإطلاق .

كان يبدو عليه الإنهاك وكأنه لم ينم من أيام ولكن رغم ذلك فإن ابتسامته تعكس رضاه التام.

- لدي سؤالان أود أن أطرحهما عليك يا "سابرينا" انتظرته في صبر وأخيرا أخذ نفسا قبل أن يسأل:

- أتصدقينني لو أخبرتك أن تمثالك عرضة للتفتت ؟

قالت بصوت منخفض :

- طبعا لا. من فضلك لا تلح على هذا الموضوع. هل من أجل إخباري بهذا الموضوع أتيت؟

- هذا جزء من السبب يا "سابرينا" ويجب أن أقص عليك ما حدث وتوصلت إليه بالأمس. لم أكن أرغب في مناقشة هذه المشكلة معك ولكن ذلك لا يهم لأنه ...

قاطعته:

- لا.. لا أريد أن أعرف.. لا تصر يا "كولن".

ساد الصمت ثم استانفت الحديث وهو يحاول أن يبتسم:

- والمسالة الثانية؟

- أوه إنها لم تعد ذات أهمية من الآن فليس لديك مزاج لتستمعي إلى ما أود أن أقوله.

- فيما بعد من فضلك يا "كولن".

- كما تحبين ساقابلك فور عودتي من رحلتي وسنتناقش.

اختفى "جيف" فانتهز "كولن" الفرصة كي يقبلها ثم اختفى بعد ذلك وسط الجمهور وأدركت "سابرينا" أنها ستشتاق إليه أكثر مما كانت تعتقد.

* * *

أخذت "سابرينا" تفكر في "كولن" وهي تعجن الصلصال وتلينه. ما الذي سيحدث بينهما؟ إن تلك الليلة في القبة السماوية تطارد أفكارها باستمرار ولن تستطيع أبدا أن تمحو أثرها وأخذت أصابعها دون وعي منها تكون أشكالا من الصلصال لم تكن تتوقعها وكان أفكارها السرية ظهرت على السطح كانت تعمل دائما بمفردها. وعندها يهبط عليها الوحي كما حدث في تلك اللحظة فإن الإبداع يولد عندها من نفسه وكأنه يخرج من مصدر غير مرئي. ولكن بينما أصابعها تكوّن الأشكال كانت روحها تزداد حيوية.

مرت الساعات وبدا الشكل يتكون ويتحدد وأصبح وكأنه كائن حي نشأ من العرق والعبقرية وفهمت "سابرينا" بالغريزة أن هذا العمل الذي هو في مرحلة البداية سيكون واحدا من أفضل إبداعاتها.

من فوق التل بدت الغابة وكأنها منظمة بطريقة يسهل بها اختراقها أو هذا على الأقل ما ظنه "كولن". كانت رحلة الطيران مدة ساعتين قد نقلته إلى المطار حيث استاجر من هناك سيارة "جيب" ووصل بها إلى تلك المنطقة المتطرفة. عن يساره انعكس سطح بحيرة وفي الحال أخذ يفكر في أسباب نشأتها لو كانت "سابرينا" حاضرة لأغرتها الألوان بأن ترسم المنظر. من العجيب أن يفكر شخصان في نفس المنظر بطريقتين

مختلفتين.

اجتاحته عاطفة غريبة. وأحس بها وزاد قلقه. لماذا إذن بمجرد التفكير في "سابرينا" يصبح عقله في حالة عدم اتزان؟ هذا النوع من المرض أراد أن يتناقش معها بشأنه في آخر يوم بغرض أن يظهر طبيعة العلاقة بينهما بشكل واضح. لقد تملكه خوف غبي غير مفهوم. قال أخيرا إنه نوع من التعب دون أن يقتنع بهذا التبرير. يالغرابة الأمر أن تقوده رؤية بحيرة لأن يفكر في الحب. ثار غضبه وانهمك في إقامة خيمته وأن يشعل دون جهد كبير نار المعسكر ثم جلس أخيرا وقد فقد كل قواه. آه فقط لو أن "سابرينا" بجواره! آه لو استطاع فقط أن يتامل وجهها الناعم الرقيق وأن ينهل من عمق عينيها الواسعتين!

لقد أصبحت حاجته إليها لا تطاق ولو استطاع لأخذ في الحال تليفونه كي يصرخ فيها إنه أخيرا في حاجة لأن يتكلم معها. رفع رأسه نحو السماء المرصعة بالنجوم وابتسم لنفسه وهو وحيد وهمهم بلقبها الذي أطلقه عليها "أيتها الشيطانة الصغيرة!" وكرره عدة مرات. أخيرا تنهد وانزلق داخل خيمته وأغلق عينيه. لو صادفه الحظ لتمكن من الوصول في الوقت المناسب ليتناول معها العشاء غدا.

* * *

عملت "سابرينا" طوال الليل ونالت بضع لحظات من الراحة وأحست وكأنها تسبح في السعادة التامة لم يسبق لها أن كانت راضية إلى هذه الدرجة عن عمل أبدعته يداها. يا للنجاح ويالللشبه الكبير بين تمثالها و"كولن".

كان التمثال النصفي لـ"كولن" بداخله حياة تظهر بآلاف الطرق حتى العينان الحجريتان تلمعان بكل ذكاء وتعبران عن حيوية صاحبهما. ومن غير المجدي أن تنكر النحاتة أنها أعطته روحها وجسدها وأن عاطفة شرهة تتملكها. نعم إنه تحفتها الرائعة وهي متأكدة من ذلك.

شعرت بالرغبة بل والحاجة التي لا تقاوم أن تقدم التمثال النصفي

إلى "كولن" ولكن يجب أن تضعه أولا في فرن الحرق وإن كان نفاد الصبر يلتهمها إنها تود أن تعرف على وجه صديقها رد فعله عندما يرى تمثاله النصفي وبعد ذلك تقوم بحرقه في الفرن الخزفي.

* * *

استيقظ "كولن" نشيطا من النوم وأعد لنفسه قدحا من القهوة واحتساه بتلذذ. كان كل ما حوله يبدو رائعا ومشمسا ومعطرا وملونا. إن أهم قراراته كان قد اتخذها في الصباح وكذلك لم يتردد ولو لحظة في أن يوجه مستقبله وبوائمه فماذا ستقول "سابرينا"؟

نهض واسترعى نظره انعكاس لمعان البحيرة فوق قدميه. لقد عاشت هنا وهناك وفي كل مكان حوله في زمن ما قبل التاريخ حيوانات غريبة الشكل وماتت ودفنت عظامها في التربة وهناك في الأماكن التي سمحت بها طبيعة التربة عاشت آثارها حتى الآن. لقد سجلت المحارات والودع حياتها داخل الحجارة الجيرية.

ظل عالم حفريات الكائنات المتحجرة طوال ساعتين يفحص بمطرقته وعدساته المكبرة في كل الأماكن التي يتوقع أن يجد فيها طريقا أو إشارة أيا كانت تدله على تلك الحيوانات التي انقرضت واختفت ثم كان عدم جدوى بحثه وسط الامتداد الرهيب للموقع ادى إلى عدم وصوله إلى شيء. لقد تحمس وبذل جهدا رهيبا دون أي نتيجة.

أحس بالإحباط لحظات فجلس على حافة البحيرة وجمع بطريقة آلية مجموعة من الحصى وأخذ يلقي واحدة بعد الأخرى فوق سطح البحيرة. أحس بالهدوء أمام منظر الدوائر التي تتسع فوق الماء ووسط الهدوء التام الذي كان يسود هذه المنطقة البرية لم يكن يسمع سوى صوت الماء الصافي كالكريستال عندما يصطدم به الحصى.

فجأة وهو يدلك سطح الحصاة التي سيلقيها استيقظ حسه العلمي فجأة أمام تكون سطحها إنها ليست حصاة صخرية وإنما محارة. في الحال أخذ يفحصها عن قرب وقد تسارعت نبضات قلبه صاح صيحة

انتصار عندما تعرف على ذلك الشيء الذي كان ضائعا وسط الرمال على شاطئ البحيرة حيوانات رخوية من عصر "روجر" لقد وصل إلى الهدف.

من هذه اللحظة عرف انه بقليل من الحظ سيستخرج محارات أخرى ودون شك عظاما . لم يعد هناك وقت يضيعه. أخذ يزحف في جنون على الأرض حوله وأخرج منها حيوانا متحجرا صغيرا ثم اثنين آخرين على بعد منه. بعد ساعتين كان لا يزال في بحثه في فرح وسرور. فجأة وسط انهماكه بكل كيانه في البحث أمسكت أصابعه شيئا ليس محارة وإنما شيء يساوي عنده الذهب الذي كان يمتلكه قارون : سن من أسنان "روجر".

عندما استعاد سيطرته على نفسه حيث إن الفرحة والإثارة جعلته شبه مشلول فترة وجيزة ثم أخذ يرقص في مكانه وهو يطلق صيحات الهنود الحمر . إن هذا المكان بالذات الذي ستخرج منه السن المتحجرة يجب أن يضع عليه علامة حتى يمكنه التعرف عليها في بعثته البحثية القادمة . أخذ بطاقة تعارف وكتب عليها بقلم فلوماستر أخذه من "سابرينا" بخط واضح "بعثة "ميلندي" البحثية" إن اسمها الثاني هذا كان يمتعه كثيرا وبصفة خاصة. ثم ثبت البطاقة في قلم الفلوماستر على هيئة راية صغيرة وثبتها في الأرض.

فحص عمله... نعم يمكن التعرف على المكان حتى من مسافة بعيدة.

كان قلبه في عيد. ابتعد في خطوات واسعة إلى أن وصل إلى العربة الجيب. ولحسن حظه استطاع اللحاق برحلة طيران ليصل في الوقت المناسب ليتناول العشاء مع "سابرينا".

الفصل الثاني عشر

القت "سابرينا" نظرة على ساعة يدها لتخبرها أن الوقت تجاوز منتصف النهار . كانت تحس بانها في حالة ممتازة وسعادة رغم العمل الشاق الذي ادته. إن "كولن" على وشك العودة وهي متمسكة بان تفاجئه بالتمثال النصفي والمشكلة الوحيدة هي نقله إلى مكتبه.

ومع ذلك تمت الرحلة في سيارة الأجرة دون مصاعب عندما وصلت المتحف ركبت المصعد حتى الدور الرابع وهي تحمل حمولتها الثمينة واتجهت مباشرة إلى مغارة العالم . اثناء مرورها نظر إليها أحد مساعديه في استغراب وفضول وعندما تعرف عليها باعتبارها صانعة "امراة الماضي" ابتسم لها في رقة.

وضعت التمثال وسط مكتب العالم وقامت بتحرير رسالة له واستعدت للرحيل. استرعى انتباهها شيء شاذ. كان ضخما وغامضا لانه كان مغطى بملاءة ولكن شكله مالوف لديها . عندما رفعت احد أطراف الملاءة قليلا ذهلت الزائرة عندما تعرفت على ذلك الشيء واطلقت صيحة دهشة.

رأت تمثالها "امراة الماضي" ولكنه من البرونز امام عينيها في

وضعه الوحشي. إذن لقد بدأ لغز اختفاء "كولن" عدة مرات في الأيام الأخيرة اثناء النهار واحيانا بالليل دون ان يشرح.. لقد كان ذلك كي يعد قالبا لتمثالها ليصبه بالبرونز. اظهرت رغما عنها احتراما شديدا للعالم واخذت تتامل نتيجة اعمالها ومررت بفخر يدها برقة على المادة الجديدة. تابعت انامله بطريقة آلية الخط المنبعج للداخل في الجزء السفلي من الجسم. ماذا يعني ذلك الخط الذي لا يوجد في موديلها الأصلي؟ بدأت الحقيقة تظهر أمامها شيئا فشيئا. تذكرت الإنذار الذي وجهه لها "كولن" والذي قابلته باحتقار. إن تمثالها لم يكن مقدرا له أن يعيش للأبد لأنه بدأ في التفتت! نعم. يجب أن ترى الدليل. لو لم يبادر "كولن" بعمل نسخة منه لما بقي منه سوى جسد مهلهل مهترئ ولتحول في الحال إلى كتلة مفتتة كالنمل.

ولكن ماذا فعل بالأصل؟ خرجت من الحجرة مسرعة وجرت عبر القاعة بحثا عن المساعد كي يخبرها . ثم فجاة راته : كان "كولن" خارجا من المصعد وهو يرتدي ملابس المعسكرات.

جذبت انتباهه عن بعد ولكنه كان منهمكا في افكاره ووجهه الممتلئ بالسعادة. قررت ان ترى أول رد فعل له عندما يرى تمثاله النصفي. اخفت نفسها خلف الباب وراته يسير نحو الهدية في ذهول ويقرا الرسالة ويبتسم ثم يجلس في مقعده ذي المساند. كان وجهه موجها نحو النسخة الثانية منه وبعد عدة دقائق لم تُحرك فيها "سابرينا" ساكنا نهض وامسك بسماعة التليفون وادار رقما. سمعته يقول:

- نعم. نعم ، أريد أن أرسل دستة منها.. لا ، دستتين من الورد.. "كولن فورستر" من متحف التاريخ الطبيعي على البطاقة؟ اوه حسنا. "أحبك" نعم هذا يكفي بعد ذلك اعطى المخاطب اسم وعنوان "سابرينا" بعد تلك المكالمة استغرق مرة ثانية في تامل تمثاله . ترددت "سابرينا" أن تفاجئه هكذا ثم خطرت على بالها خطة فانسلت من مكانها واختفت.

قرر "كولن" أن يعود إلى العمل. فتح بريده وأرسل الردود واخذ ملاحظات ثم ذهب إلى البوفيه ليشرب شيئا منعشا.

عند عودة "فورستر" إلى مكتبه وجد باقة رائعة من الورود بالقرب من

تمثاله النصفي فوق المكتب . قطب جبينه. إنه لم يطلب ورودا له وإنما أرسل ورودا. أما بالنسبة للرسالة فإنه لم يستطع أن يحل لغزها فقد وجد على البطاقة عبارة "أحبك"

تساءل : هل يطلب محل الزهور؟ لا.. قرر أن يسرع إلى "سابرينا" لا يهم فإنه سيقدم لها الورود بنفسه بدلا من محل الزهور.

في لمح البصر هبط الأدوار والقى بنفسه في سيارته وانطلق في سرعة رهيبة ، بجواره كانت رائحة الورود تنبعث من الباقة في خياشيمه في لذة. يتمنى أن تقول له "سابرينا" نعم. هبط من سيارته أمام العمارة الخاصة بالشابة وصعد الدرجات مباشرة وقد تقطعت أنفاسه وهو يدق جرس الباب.

فتحت له الباب. كانت حافية القدمين وقد ارتدت قفطانها الأزرق والأبيض وتناثر شعرها على كتفيها. كانت في يدها باقة من دستتين من الورد والبطاقة ترتجف في يدها الأخرى. فهم كل شيء إن صاحب محل الزهور لم يخطئ.

كان كل منهما مرتبكا في مواجهة الآخر ثم قال "كولن":

- لم يسبق لأحد أن أرسل لي زهورا.

- وانا لم يسبق لأحد أن كتب لي بطاقة كهذه. هل تريد شرابا منعشا؟

دخل وأغلق الباب خلفه وجلس على الأريكة. وفي يده الكاس. جلست "سابرينا" أمامه فوق مقعد ذي مساند ووضعت ساقا فوق ساق :

- هل اكتشفت "كندا"؟

استنتج بالغريزة ماذا تنتظر منه . بدافع الخجل ليس من المهارة ولا السهولة أن يندفع إلى بيت امراة ثم يطلب منها يدها هكذا دون مقدمات .

قال:

- لقد وجدت سنا... إنها تخص احد ابناء عم "روجر".

أضاء وجه مضيفته بطريقة أثرت فيه. يالها من سعادة أن تشاركه فرحة الاكتشاف .

- أوه "كولن"! هذا رائع.. في صحة "روجر".

عندما تامل "كولن" وجه "سابرينا" الذي لا يبعد سوى سنتيمترات قليلة من وجهه دهش عندما وجده أجمل من الأيام السابقة. في كل مرة يراها تزداد إغراء وسحرا. يا ترى ما السبب؟ هل لأنه من الآن فصاعدا تهتم هي به وأنها بدأت تفهم أهمية أعماله العلمية؟ نعم دون شك لأن هذا عنصر في صالحها ولكن هل هناك دوافع أخرى؟

ثم هذه الحرارة التي تشعلها عنده تحيره مرة بعد أخرى. في الأيام الأولى من لقائهما لاحظ تماما دون أن يعير الأمر انتباها، رد فعلها شبه العاطفي نحوه . وأثارته عنده ايضا. ثم إنه لم يتمسك كثيرا بتحليل هذا النوع من العلاقة التي نشأت بينهما.

لأنه كان مشغولا لذقنه بابحاثه حول "روجر" العجوز. ولكن مجرد وجود الشابة لا يكفيه. إن ما يريده منها أكثر هو كيانها العميق وروحها .إن داخله فراغ مؤلم هي الوحيدة التي تستطيع ملأه . أحس داخليا بالرغبة في الضحك على نفسه ، ومن نفسه كيف يمكن لعالم لا يؤمن بالسحر أن يترك نفسه لامراة تسحره؟ إنها تستطيع بيديها الرقيقتين أن تسحق قلبه وهو متاكد من ذلك. ومن أجل ذلك يكفي أن تقول "لا" على السؤال الذي يحرقه.

همس :

- "تيتانيا" هذا هو انت.. لقد اتيت إلى العالم كي تعذبيني.

فكرت في دهشة :

- "تيتانيا"؟ إنها شخصية "شكسبير" في "حلم ليلة صيف" ولكننا لا نعيش حلما. هل نسيت انك تعاملني على انني "شيطانة صغيرة"؟

- فعلا.. ولكني ارفعك درجة إلى ملكة الجنيات يجب أن تسعدي بذلك.

- فعلا.

أخذت تتامل العالم بتعبير فضولي. كانت الوجوه دائما تثير اهتمامها. وكانت يداها تعبران تماما عما تحسه نحوها. إن الوجوه والأيدي دائما ما تسحرها إنها تكشف عن الرجل كل الكلمات التي يستطيع أن ينطقها. حتى الآن تاملت "كولن" بعين فنانة خاصة رغم وجود بعض عدم الانتظام في تقاطيعه.

لم يكن جماله كلاسيكيا ويتحدى كل تغيرات الموضة حبست انفاسها فجاة عندما تعرفت على تفاصيل تقاطيع وجهه. ارتجفت اصابعها رغبة في ان تمسك بالقلم الرصاص لتخط صورته على الورق نعم سترسمه بالطريقة التي تراه عليها الآن.

احتسى كاسه وتمدد فوق المقعد الطويل وقد فرد ساقيه الطويلتين ووضع قدميه اسفل مقعد "سابرينا" احست بأن قلبها ينبض بشدة بسبب ما تتوقع ان يحدث بعد ذلك. إنها تعرف انه يكفي ان يلمسها باطراف اصابعه حتى تفقد سيطرتها على نفسها قال لها بصوت دافئ:

- "سابرينا"! تعالي!

كان نطقه لاسمها قد قلب كيانها.

نهضت برقتها وحلاوتها المعهودة وتعمقت نظراتها في عيني "كولن" وتقدمت نحوه.

لقد تغير العالم أمامها منذ عرفت هذا الرجل رغم ان كل شيء يمكن ان يفصل بينهما. لقد اقتحم حياتها كعقبة ووسيلة إزعاج وها هي الآن تحبه وهو الوحيد الذي يستطيع ان يوقظ فيها اعمق مشاعرها. إنها لا تشك في ان وجهها ينم عن افكارها السرية وانه يقرا عليه الحب الذي تحمله نحوه. نادى اسمها مرة أخرى. سرت الرعدة في كل جسدها.

كان "كولن" يفكر انه يستطيع ان يقضي كل عمره فوق المقعد الطويل الذي يجلس عليه وهو ينظر في اعماق عينيها. وحتى ذلك الكائن المتحجر المستقر في داخل تمثالها والذي كان السبب في خلافهما في البداية واقترابهما بعد ذلك لم يعد له اية اهمية. وابحاثه واعماله واكتشافاته فقدت كلها فجاة كل اهميتها. كل ما يهمه الآن هو "سابرينا" التي يحبها.

جلس على مسند مقعده عندما بدا الموضوع الذي كان يعذبه منذ البارحة. لقد كان من الاسهل ان يكتبه عن ان يقوله. لم يكن صوته سوى همس متقطع عندما تلعثم وهو يقول كلماته:

- أحبك.. ولا تتركيني ابدا.

- إنني لن اتركك ابدا.

ظلت تسند راسها على كتفه في سعادة غامرة حتى إنها لم تعد في حاجة إلى الكلام قال:

- ولكن ..

- ولكن ماذا؟

رفعت راسها والتمعت عيناها وفتحت فمها حيث كشفت شفتاها الورديتان عن اسنان ناصعة البياض.. لم يسبق ابدا ان كانت بهذه الفتنة.

- نحن مختلفان تماما يا عزيزتي وانت تعرفين ذلك.. وبالنسبة لتمثالك "امراة الماضي" لست ادري ماذا اقول.

- صه!

وضعت أصبعها على فمه كي تمنعه من الحديث ثم قالت له معلنة:

- لسنا مختلفين إلى هذه الدرجة ولكن لكل منا طرقه المختلفة عن الآخر في التعبير. وبالنسبة لـ"امراة الماضي" فإنني اعرف كل شيء. ولا فائدة من ان تخبرني انه هش لانني عرفت بذلك . وحمدا لله انك صنعت نسخة منه من البرونز وهل تدري انها رائعة يا "كولن"!

- اه! انت على علم بما حدث وتقبلين هذه الكارثة؟ وانا الذي كنت اخشى كثيرا رد فعلك.

- اعرف انني كنت مخطئة وكان من الواجب علي ان اثق بك. ولكن من الآن فصاعدا لن اشك ابدا فيك.

- هل انت واثقة بذلك؟

- نعم واثقة للابد.

عندما سجلت هذا الوعد لم يبق أمام "كولن" سوى التعبير عن عمق افكاره.

- أود أن أسالك يا "سابرينا" هل انت من النوع الذي يرفض العلاقة من اي نوع حتى لو بدت تقليدية؟

أجابت دون إضاعة وقت:

- إن الإجابة عن سؤالك هي: "نعم". لقد كان زواج والدي بوالدتي ناجحا وتقليديا وكي ارد على تعبيرك الذي تقصده فإنني اقبل الزواج

بك .

تاملها في انشراح. توقعت منه تعليقا ولكنه سكت. كان يجد سعادته في أن يتاملها بكل هذا العشق الذي كان يشعرها بالاضطراب سالها مرة أخرى وكانه يشك فيما سمعه:

- نعم؟

- نعم الف مرة نعم.

هزهما الضحك السعيد سالها:

- هل تتمسكين بالإجابة عن السؤال الثاني الذي طرحته عليك في ذلك اليوم؟

- نعم.. لو كنت أعرف.

داخل الحجرة لم يعد هناك سوى لحظات طويلة من الصمت المشحون بالآهات ورائحة الورود.

* * *

لو قمتم بزيارة الطابق الرابع في متحف التاريخ الطبيعي فستكتشفون منظرا مذهلا في صالة حفريات الزواحف المتحجرة.

فبالقرب من فترينات عرض مخلوقات العصر الجليدي تستطيعون أن تشاهدوا "روجر المدهش" مدفونا أسفل جسم امراة من الحجر. إن اثر الحيوان المتحجر واضح في كل مكان. ويوجد دائما مجموعة من الفضوليين يدورون حوله.

من الواضح أن الفنانة التي صنعته كانت تحلم دائما أن يعرض عملها يوما ما في متحف ولكن لم يصل حلمها طبعا أن يعرض في متحف التاريخ الطبيعي . لا يهم فإنها سعيدة بذلك.